روايات مصرية للجيب

4

ميتا فيزيقا

شقة مسكونة

فريق متميزون

E-BOOK

أحمد فكري

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (ميتافيزيقا)

كلمه مهمة: هذا العمل (تحويل سلسلة ميتافيزيقا للكاتب أحمد فكري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة ميتافيزيقا
تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة
العدد رقم (04)

شقة مسكونة

تأليف: أحمد فكري

مقدمة..

مصطلح يعنى الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا، بأنها الأشياء التي تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة.. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا: ما وراء أو بعد) و(φυσικά) وتعنى (فيزكا: مادي أو طبيعي).

أحمد فكري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تحذير هام..

لا تقرأ هذه الرواية ليلاً أو بمفردك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تمهيد..

أخذ يشق طريقه وسط الأثاث البسيط متعثرًا فى بعضه وفى جلبابه المتسخ.. يقف يلهث، ينظر إلى الخلف، ثم يكمل ركضه إلى حيث النافذة.

يصل إليها، يعالج مزلاجها، وهو يتلفت كي يرى إن كان لا زال يتبعه أم لا؟ فيرى ظله يسبقه إلى الغرفة، يبكي كالأطفال، ويواصل معالجة المزلاج، ويفتح النافذة ويتسلل الضوء إلى الداخل لينير كل شيء، فيراه!

يبادل نظـرة بينه وبين الشـارع البعيـد، فيختار تحطيم عظامه عن الانتظار، يمسك بسور النافذة وبكل ثقل يحـاول محاولة بائسة أن يصعد كي يلقى بنفسه منها، لكنها بائسة كما أخبرتك من قبل.

وفى ثوانٍ كانت رأسه تطير لتستقر في ركن الحجرة. وكان آخر ما رأته جسدًا يرتدى جلبابًا يتهاوى ليسقط على أرض الغرفة غارقًا فى الدماء فاقدًا رأسه.. ثم أغلق عينيه بعدها إلى الأبد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البداية..

جلس الدكتـور عبد الحميد مرتديًا نظارته السميكة، التي تشعرك أنه لا يفقه شيئًا عن تقدم الطب وعملياته، فى شقتي، وقد فتح أمامه كمًّا لا بأس به من المراجع العلمية، والمجلدات الضخمة، وأخذ يدون الكثير من الملاحظات بقلم رصاص حف سنه مائة مرة، وأخذ يخط فى كثير من القصاصات به، ثم يدسها بين الصفحات.. الحقيقة أن ذلك الرجل ودود بحق وعالم بمعنى الكلمة، وقد صارت بنا صلة وطيدة أيضًا بعد لعنة ساوين.

كنت أرشف فجانًا من القهوة وأطالع إحدى الكتب القانونية حين دق جرس الباب.

نهضت متثاقلاً من أمامه، وفتحت الباب لأجد شابًّا فراع القامة أشقر الشعر، يبتسم فى خجل..

وقبل أن أتفوه بكلمة واحدة دس بين ضلوعي ظرفًا كبير الحجم، بعد أن سألني عن أسمي، بذات الخجل، ثم أجاب هو أيضًا.. بأنه لا بد وأنني أستاذ (إبراهيم)..

ناولني المظروف، ثم ناولني قلمًا وورقة، وطلب توقيعي، فأعطيته إياه، وانصرف شاكرًا إياى على مساعدتي الجليلة له.

الحقيقة أن مشهده قـد ذكرني بمشاهد شتى قد مرت على، كالمشهد الخاص بخطاب الترشيح الخاص بكليتي.. وكذلك خطابات التعيين، التي ظللت أنتظرها طوال عشرين عامًا أو يزيد!

على كلٍّ أخـذت المظروف وعدت إلى داخل الشقة، لأجـد أن الدكتور (عبد الحميد) لا زال منهمكًا فيما يفعله..

رمقني بعويناته ورمق المظروف فى فضـول، وأضاف دون أن يشيح وجهه عن مجلداته:

من البنك أظن؟

قالها ثم هم بالنهوض، وهو يردف:

على كل سوف أنصرف أنا الآن، وسوف أنتظر أن تصعد لى كي نتحدث سويًّا..

قالها، وانصرف بالفعل بعد أن لملم كل متعلقاته، وتركني مع ذلك المظروف، الذي أخذته، ودلفت به إلى الشرفة.

جلست على المقعد، الذي وضعته خصيصًا من أجل الجلوس فى الشرفة عند الغروب.. وتناولت المظروف.

كان كبيرًا بعض الشئ، قلبته بين راحتي، وقرأت المكتوب على ظهره بخط أنيق، ومنمق كذلك..

المرسل إليه / الأستاذ: (إبراهيم عبد المغنى).. المحامي.

المرسل / (شريف) شاكر..

عنوان المرسل إليه / ١٥ شارع (.....) بالمقطم..

إذًا ذلك لا يخصني.. بل يخص شخصًا آخر اسمه (إبراهيم عبد المغنى).. لكن عنوان الشقة هو ذات العنوان الذي أقطن به..

حقًّا أنه لشيء محير..

قلتها، وشرعت أفرغ محتوياته على المنضدة الصغيرة التي استقرت أمامي، فوجدت حافظة بها مجموعـة لا بأس بها من الورق المسطر ممتلئة عن آخرها بخط منمق بقلم حبر راقٍ.

فررتها، فسقط منها الكثير من الأوراق المنفصلة، والمختلفة المقاسات كذلك..

أمسكت إحداها وبدأت أقرأ:

«جدي مات مقتولاً»!

«سيليست»!!.. هذا دواء لمنع الحمل!

لقد أثارت هذه القصاصاتَ وبصدقَ شغفي، لذا اعتدلت، وفتحت الورق من بدايته، وبدأت أقرأ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

نهض فاركًا عينيه، محاولاً طرد النعاس الذي يراوده.. تثاءب واضعًا يده على فيه..

رمق جنبات الزنزانة بعين ناعسة، فرأى ذلك الشخص!

لا بد أنه وافد جديد..

قالها فى نفسه ثم لوح له بيده، ملقيًا التحية: - صباح الخير.. أو ربما.. مساء الخير..

قالها منتظرًا الرد، لكنه لم يأت!

نظر إليه، فوجده ينظر إلى الأمام نظرة خاوية.. لا روح فيها!

- لن يتحدث معك!

قالها آخر، مضيفًا:

- إنه يرفض الحديث مع أي أحد..

- صباح الخير يا ..... مممم ..... ما اسمك؟

قالها مرة أخرى بعد أن نهض متجهًا إليه، ثم جلس إلى جانبه، لكن دون جدوى .....

تقدم بضع خطوات ناحيته مرة أخرى فى حذر ثم أضاف: - يبدو أنها المرة الأولى لك..

قالها، ثم عبث فى قدمه، مخرجًا لفافة تبغ لم يتبق منها إلا الثمالة.. يلوح له بها كي يلتقطها منه، وهو يضيف: - أتدخن؟

لكن، لا شيء سوى الصمت..

يلتقط عودًا من الثقاب، ليشعل به اللفافة، ويأخذ نفسًا عميقًا منها، يزفره فى هواء الزنزانة فى انتعاش وتلذذ، وهو يضيف: - إن التدخين عادة يكتسبها الشخص داخل السجن.. أعلم أنك تخفى شيئًا ما، لا تريد قوله..

يصمت برهة ثم يضيف:

- حسنًا.. لم أقدم لك نفسي.. عصام.. أخوك (عصام عبد المعطى).. رئيس الزنزانة هنا..

أنا هنا منذ عشرة أعوام كاملة.. وأنت؟

لا رد..

ينظر إليه ويضيف:

- لقد أتوا بي إلى هنا ظلمًا وافتراء، وربما أنت كذلك..

قالها، وأردف:

- يمكنني أن أقول لك أن معظم من هم هنا مسجونين ظلمًا، لكن هه..

- الجميع يعتبروننني أبًا لهم، ويقصون علىَّ همومهم، ويطلبون منى ما يريدون، لأنني كما ترى الأكبر سنًّا، لذا فأعتقد أنك لن تخسر شيئًا أن قصصت علىّ..

يقولها بعد أن زفر دخان آخر نفس فى سيجارته، التي ألقاها بأصبعه بعيدًا، ثم يضيف: - صدقني.. إن لم يفدك الحديث معي فسوف تكون قد وجدت من ينصت إليك دون ملل، وسوف يصدقك على الأقل ....

يصمت مرة أخرى ... ثم يضيف:

- صدقني.. إن حديثك معي لن يكون خسارة فى كل الأحوال ....

يعبث فى ذقنه ثم يسأله مداعبًا:

- هل تناولت شيئًا بعد؟.. إذن أنت مثلى فأنا لم أتناول فطوري بعد..

يقولها ثم ينظر إلى بعض الآنية المتراصة فوق بعضها فى غير انتظام، وغير النظيفة بالمرة، ثم يضيف: ـ أعلم أن الطعام الذي نعده هاهنا لن يرق لك، لكنه طعام على كل حال.. إن لدىَّ بعض شطائر الفول من .... وأردف هامسًا، بعد أن أخرج من مكان ما بعض الشطائر الملفوفة بورق الجرائد: - أن الصول (أمين) يعاملني معاملة طيبة، ويعلم كذلك أننى بريء، وهو من يأتي لى بكل ما أطلبه.. لكن بمقابل كذلك.. فهنا كل شيء له مقابل..

يصمت الرجل مرة أخرى، وينظر إليه بطرف عينيه، ليجده لم يحرك ساكنًا.

يتنهد فى استسلام، ويضيف، وهو يطوى ورق الجرائد الملفوف به الشطائر، وينحيه جانبًا: - لا بأس.. لا بأس.. افعل ما شئت..

قالها وهم أن ينصرف من أمامه.

- «سوف أقص عليك ما حدث!!»

هكذا أتت عبارته ... باردة ... مترددة ... قلقة..، لكنها أتت على كل حال.

تنفس الرجل الصعداء، ثم نظر إليه وابتسم، وأضاف: - أخيرًا.. خيرًا فعلت.. ها.. ها أنا ذا أنصت إليك.. تحدث.. أنا أسمعك.

- أنا لست مجنونًا، ثم إننى بريء!

- مجنون؟!.. لا أفهم ما تقول.. قص على تفصيلاً..

ـ مممم ..... هه.....

«أطلق بعض الهمهمه»، ثم عقد ذراعيه ناظرًا إلى السقف.. فى محاولة منه لإيجاد بداية ما، ثم تنهد طويلاً وبدأ فى السرد: - أسمي (شريف).. (شريف شاكر)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

عايزنا نرجع زى زمان قول للزماااااان ارجع يازماااان

وهاتلي قلب لا داب ولا حب ولا انجرح ولا داء حرمان

صوت أم كلثوم ينبعث من المذياع الخاص بقهوة (دندراوي).. مفعم بالكهرباء الإستاتيكية ...

الساعة الآن حوالي الواحدة بعد الظهر.

يعبث (صفوت الدندراوي) بأذنيه بفم الشيشة وهو رجل نحيل تخطى الستين، ويضيف وهو يملأ رئتيه بدخانها: - الحقّ يقال يا (حسن).. لقد صارت الرائحة لا تطاق، والجميع صار يشكو منها.

«تفووووو ....»

- وأنا أحدهم»..

قالها وصمت برهة كأنه تذكر مأساته الشخصية، ثم أضاف: لكن.. إن كان على فأنا لم أعد أهتم بمثل هذه الأمور.. أو لم أعد أبالي بشيء قط.. منذ أن رحل (حسن) أبني - رحمه الله - بذلك المرض اللعين، الخبيث بعيد عنك.. فقد كان هو كل حياتي تقريبًا وأنت تعي هذا.

«كروووووو..»

يأخذ نفسًا عميقًا من الشيشة ثم يزفر الدخان فى الهواء ثم.

«تفووووو ....»

يطلق رصاصة أخرى من فمه ويكمل:

- كل من يقطن بالمنطقة صار لا يطيق تلك الرائحة يا (حسن).

«كروووووو ....»

- هم أخبروني أنهم سوف يتحدثون معك بصدد ذلك الأمر، لكنني أخبرتهم بأنني سوف أقابلك على القهوة، وأتحدث معك..

يقولها فيمسك الحـاج (حسـن) بكـوب الشاي الذي برده الهواء، ويرشف منه رشفة ثم يقول: - لقد صرت طاعنًا فى السن يا (صفوت) ولم يعد لى مقدرة على تحمل مصائب ذلك البيت، ولن أستطيع أن أفعل شيئًا بدونهم، ثم أردف: - بيني وبينك أعلم أن الرائحة قد صارت لا تطاق، لكن.. هه ... ما الذي بمقدوري أن أفعله؟

قالها ثم أضاف:

- على كل حال هى ليست من عندي.. من الممكن أن تكون من عند أحدهم.

- لكن أنت مالكه يا (حسن).. وهذه مسئولية عامة، ثم إننى سألتهم أجمعين.. والجميع قد بحث بالفعل فى شقته، ولم يجد شيئًا..

- إذًا ربما.. المجارير..

- لنبعث إذًا لصلاح السباك، ويخبرنا هو بدلاً من أن نضرب أخماسًا فى أسداس

- حسنًا، لكن عليك أنت أن تخبر السكان بأن يكونوا متواجدين، كي يعلموا جيدًا أننى لم أتوان أو أتهاون قط، وكذلك لم أقصر فى الأمر، وأنني مثلى مثلهم.

- حسنًا.. حسنًا، سوف أخبرهم، لكن الميعاد..

- يوم الجمعة القادم إن شاء الله..

- إن شاء الله..

«وانصرف الاثنان على موعد مع (صلاح) السباك»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

بعد صلاة الجمعة مباشرة..

اجتمع الكل فى شقة السيد (أمين)، الذي يقطن بالدور الأرضي.. الذي بدوره راح ينقل ناظريه فى حنق بين ذلك الجمع، وأحذيته التي أخذت تدهس السجادة..

هو (أعزب) لذا فهو يحمل على عاتقه «كيفية إزالة هذه الأطنان من الأتربة»؟

الحقيقة أن الرائحة قد تسللت إليه، لكن بالنسبة إليه هى أقل وطأة من تنظيف هذه الشقة..

- السلام عليكم ...

قالها شاب أسمر اللون يدعى (صلاح).. على ما بدا أنه من صعيد مصر.. شعره ملفوف حول نفسه «مكتكت».. كما يقولون..

حضر ومعه حقيبة متهالكة تمامًا.. فاقدة ليدها اليمنى، فربطها بالباقي منها من الناحية الأخرى، ثم أضاف: - أين المنور؟

نظر الجمع إلى (أمين) كي يقتادهم إلى حيث هو.. فأفاق من خواطره، ونهض ليقتاد (صلاح) وباقي الحضور إلى داخل المنور..

وضع (صلاح) حقيبته على الأرض.. وأخذ يخرج منها بعض الأشياء، ثم أخذ يعبث هنا وهناك.. باحثًا عن عيب ما..

«ربما كـان هنالك فأر ما قاده حظـه العاثر إلى داخل الماسورة، وسدها.. أو ربما ماسورة ما قد..، لكن لا شيء..

أخذ الجميع بدورهم ينظرون إليه وكأنه حاوٍ..

- كل شيء تمام!

هكذا قالها وهو يلملم العدة.. ثم أضاف:

- أن هذه المواسير عتيقة.. لن يحدث لها شيء قط.. حتى وإن ظلت مائة عام أخرى..

ثم تأوه قليلاً وتابع مصطنعًا:

- لقد صنعت فى زمان كان الكل عنده ضمير يؤنبه.. زمان كانت تملؤه الذمة.. لكن الآن لا هنالك ذمة ولا ضمير ...

قاطعه الحاج (حسن) قائلاً:

- شكرًا لك يا (صلاح)..

ثم ناوله بضعة جنيهات ليسد فمه.. لكنه أضاف: - إنها وللحق فولاذ..

- شكرًا يا (صلاح)..

- أمامها مائة عام أخرى.. على الأقل..

قالها وهو خارج الشقة.. فلم يجد سوى أن يدس النقود فى جيوبه ومن ثم يصرف..

- إذًا ليست المجارير هى سبب الرائحة يا حاج (حسن)، مثلما أخبرنا الحاج (صفوت).

قالها شخص يبدو عليه الغضب، تناثر الشعر على رأسه فى غير انتظام، شاربه كث.. يدعى (إبراهيم عبد المغنى)، وهو محام، ويقطن فى الطابق الثاني..

فأجابه (حسن):

- لقد فعلنا ما بوسعنا يا أستاذ (إبراهيم)، وأعتقد أنه لو كان هناك حل آخر، أو إذا كان لديك حلول أخرى، فهلا طرحتها علينا الآن..

قالها، ثم أضاف:

- فليس من الممكن أن أقتحم كل شقة وأبحث داخلها.. ثم إننى مثلك.. أريد أن أعلم ما هو مصدر تلك الرائحة المقيتة..

- أعتقد أنه لا داعي لتلك للعصبية يا أستاذ (إبراهيم).. فكلنا فى سلة واحدة..

قالها شخص آخر يدعى (عبد المنعم) وهو مدرس لغة عربية، ويقطن بالطابق الثالث ثم أضاف: - لكنني أشك فى أن الرائحة مصدرها الشقق العليا..

صمت برهة كأنه يتذكر شيئًا ما، ثم أردف:

- بالتحديد ذلك العجوز الذي يدعى.. (عزت).. لكم أن تسألوه.. ربما أخفى شيئًا..

قالها ثم أضاف:

- إنه رجل غريب الأطوار.. ودائمًا ما يجلس بمفرده، ولا يحب أن يتحدث إلى أحد.

- معك كل الحق.. لم أكن أراه إلا فى المسجد.. أو ربما صدفة.. فمن الممكن أن يكون.. قد ألم به مكروه!

قالها (أمين) كرصاصة موجهة إلى الحاج (حسن)، ثم أضاف: - توفى فى شقته، وهذه الرائحة مصدرها جثته التي أكلها الدود؟!

نظر إليه (إبراهيم) ثم قال:

- إذًا لنصعد الآن جميعًا.. ونقطع الشك باليقين..

وهكذا انطلق الجمع فى اتجاه شقة (عزت)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

بعد مرورهم بشقة الحاج (حسن) بدأت الرائحة فى التزايد!!

أربع درجات أخرى و .....

- الرائحة قوية بالفعل!

قالها (إبراهيم) بعد أن أطلق سبة بذيئة، فأجابه (أمين) مؤيدًا: - أقطـع ذراعي إن لـم تكـن الـرائحـــة منبـعثــة مــن تــلك الشـقـة بنت الـ «.....»

قالها ثم سد أنفه بيده وأضاف:

من المؤكد أن ذلك الكهل قد مات وتحللت جثته.. هذا هو التفسير الوحيد لتلك الرائحة، وكذلك اختفاؤه لفترة!!

مال (صفوت) ناحية الحاج (حسن) ثم أضاف:

- هل تعتقد أن الرجل مات فعلًا؟

نظر إليه (حسن) نظرة ذات معنى، وأجابه قائلاً: - وددت لو كنت أملك إجابة شافية.. لكن!!

فى هذه اللحظة كان الجمع قد وصل إلى شقة (عزت)..

هتف (عبد المنعم) فى هستيريا:

- هنا.. هنا.. ثم أخذ يسعل، ويسعل. ثم يبصق..

لم يستطع (صفوت) أن يستنشق الهواء، خاصة وأن قلبه واهن بما يكفي لتوقفه فى أية لحظة ودون سابق إنذار، فتراجع إلى الخلف، ممسكًا بطرف جلبابه، واضعًا إياه على أنفـه، كي يمنع تسرب الرائحة إلى خياشيمه.. فى حين عزم الباقون على تحطيم الباب..

بعدما طرقوه عدة مرات.. لكن دون جدوى..

«تاك ... تاك .... تاااك ....»

عـدة ضـربــات لا بــأس بهـا كـانـت كفيلـة كي ينفتـح البـاب ويعلـن استسـلامـه..

كح كح.. كح.. كح ...

أخذ الجميع فى السعال.. من فرط شدة الرائحة.. ثم أخذ البعض يتقدم داخل شقة (عزت)..

- الرائحة عفنة ولا تطاق.. من المؤكد أنه مات..

قالها (عبد المنعم) الذي كان قد دلف إلى الصالة محدثًا بها نفسه.. ثم ضغط على زر الإنارة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما إن ضغط زر الإنارة، حتى اتضحت الرؤى..

ودون كلمة أخـرى تصلب الجمع، وهرول (عبد المنعم) خارج الشقة مهللًا: قتيل.. قتيل.. الحاج (عزت) قتل.. الحاج (عزت) قتل.. الشرطة.. اطلبوا الشرطة..

وتوارى خارج الشقة..

أما عن الباقين فقد كانت الرؤيا قد اتضحت لهم أكثر..

لقد كان الحاج (عزت) ملقى على الأرض محاطًا بأطنان من الديدان بلا رأس!. بالتحديد ملقى أمام النافذة، وسط بركة من الدماء التي تخثرت تمامًا.. وأحالت لون الأرض إلى الأسود.

تقدم (إبراهيم) المحامي، بضع خطوات أخرى سادًّا فتحتي أنفه ومشيرًا إلى رأس الحاج (عزت) التي استقرت فى ركن الغرفة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5

- كنت فى تلك الفترة أقطن مع جدي فى بيت قديم يملكه، فى حى مصر القديمة.

قالها (شريف) ثم شـرد كأنه يبحث عـن وصف يصفه به، فقاطعه الرجل مازحًا: - إن جدك كان من أصحاب الأملاك..

لكن (شريف) ظل ثابتًا كما هو بذات النظرة الجدية، لكنه انتبه لجملته فأضاف: - لا.. لم يكن كذلك، أو كما تظن.، فقد كان كله إيجارًا قديمًا.. أكثر فرد كان يدفع لجدي خمسين جنيهًا.. حتى جدي لم يكن يعتمد على إيجاره فى المعيشة ...

قاطعه الرجل مرة أخرى:

- فمن أين إذًا كنتم ...؟

- من المعـاش.. فقـد كان جـدى موظفًا حكوميًّا فى إحدى الشركات الحكومية وأحيل إلى المعاش.

قالها (شريف) مقاطعًا وقد علم ما يدور بخلد الرجل ثم أضاف: لقد كان جدي ينفق على بعد وفاة والدي.. حتى التحقت بكلية الطب وتخرجت فيها لأصبح طبيبًا فى إحدى المستشفيات العامة بمصر الجديدة، لكن الراتب.. لم يكن سوى حفنة من الجنيهات.

كم كنت أتمنى معيشة غير تلك. كم تمنيت أن يكون لى عيادتي الخاصة.. سيارتي الخاصة، شقتي الخاصة. فى هذه الأثناء ظهرت (نهال) وكأنني كنت أنتظرها، كنت أنتظرها كبوابة أعبر منها إلى عالم آخر غير ذلك الذي أعيش فيه.

لا أعلم كيف أصفها لك.. ذلك الجمال الحاد، الشعر الأسود الفاحم.. البشرة الخمرية التي تشعرك أنك ترى كليوباترا بملابس عصرية.

من الوهلة الأولى.. تخمن أنها من عائلة ميسورة الحال جدًّا.

كنت أرمقها، حين دلفت إلى داخل المستشفى مهرولة!

أخذت تبحث عن أحد ما لتسأله، فلم تجد سواي أنا و(مصطفى) طبيب امتياز.. كادت تسأله ثم عدلت عن ذلك، وتركته واتجهت إلى..

وبصوت لم أسمع مثله من قبل أضافت:

- والدي.. أريد أن أطمئن عليه.. هنالك من أبلغني أنه هنا.. عندكم.

كانت ضربات قلبي تتسابق مع بعضها البعض.. لذا لم أتبين ما قالته جيدًا..

لكزني (مصطفى) كي أنتبه لما تقول وأضاف:

- تريد أن تطمئن على والدها يا دكتور (شريف).

انتبهت لما تقول ... فسألتها عن اسم والدها وكيف جاء ومتى أتى؟

فأجابتني، وقد أحالت الدموع عينيها إلى جمرتين: - (شوكت فهمي).. ثم صمتت لبرهة، وأضافت:

- لا أعلم ما الذي حدث بالضبط.. لقد أتتني مكالمة هاتفية منكم.. من شخص ما بالمستشفى، وأخبرني أنه هنـا.. وأن أحدًا قـد وجده مغشى عليه داخل سيارته، فأتى به إلى هنا..

التقطت أنا سماعة الهاتف، وأجريت مكالمة هاتفية علمت منها أن الرجل بالفعل داخل المستشفى.. وأنه بالعناية المركزة.. لأنه يعاني من جلطة.

وضـعت السماعة، ونظـرت إليها فى شفقة.. ثم حاولت يائسًا فى معالجة الأمر: - تفضلي.. وأشرت اليها إشارة ذات معنى «أننى أريدها معي لنقف على انفراد».. ثم بدأت أخرج كلماتي بحذر: - أقترح مستشفى خاصة..

- ماذا به؟

قالتها، وقد بدا عليها أنها علمت خطورة الحالة، فأضفت: لا تقلقلي خيرًا إن شاء الله، لكنني كما قلت أقترح مستشفى خاصة، حتى يتم عمل اللازم هناك، لأن هنالك تجهيزات بكل تأكيد أفضل.

وافقت على الفور، بعد أن طلبت منى مساعدتها، ففعلت، وتم نقله إلى المستشفى الخاص.. تبادلت معها رقم الهاتف بداعي الاطمئنان على حالة والدها..

ومرت الأيام وتحسن والدها، وخرج من المستشفى.. وطلب مقابلتي

لم أتردد حينها، أخذت بعضي وانتقيت هدية لا بأس بها، وذهبت إلى حيث هو..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت فيلا رائعة بحق.. أثاث راقٍ بحق.. تحف وتماثيل قد تراصت فى كل ركن.

أهلاً أهلاً.. دكتور (شريف)..

قطعت تلك الكلمات تفكيري، فالتفت لأجد السيد (شوكت)..

رحب بي فى حرارة.. وشكرني كثيرًا على كل شيء..

لم تمر سوى لحظات حتى أتت (نهال)..

متألقة هى كعادتها.. جميلة كديدنها..

صافحتني فى ود.. ثم أشارت إلى كي أعود إلى مقعدي..

جلسنا جميعًا نثرثر فى كل شيء..

لن أطيل عليك أكثر من ذلك.. وسأذهب بك مباشرة إلى أن طلبت منى فى إحدى المكالمات أن نتقابل على انفراد..»

ترددت فى البداية ثم وافقت..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6

الحق هو أننى لم أكن مهتمًّا بشيء قبل معرفتي بنهال على الإطلاق.. أما عند ظهورها فى حياتي، وقد اتخذت موضعًا وركنًا خاصًّا بها فى وقت قصير نسبيًّا، لكنني كذلك كنت أعلم جيدًا أننى سوف أفقدها فى أول فرصة ممكنة..

خاصة وأنني لن أجد الشجاعة فى مصارحتها بحبي، أو حتى فى مقابلة والدها، وأنا لا أملك دخلاً كبيرًا يناسبها، أو مدخرات..

فقد كان المستقبل حينها يمثل لى قلقًا غير عادى، وتوترًا ملحوظًا..

صمت (شريف) برهة، ثم أضاف:

أما كيف تبدلت حاالى فسأحكى لك..

قالها (شريف) للرجل، ثم أضاف:

وهكذا ذهبت إليها ملبيًا دعوتها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وعلى إحدى المقاعد الخاصة بإحدى الكافيهات جلسنا نتحدث مع بعضنا البعض..

أخبرتني حينها أنها تحبني، وأنها قد قاومت كثيرًا، كي لا تعترف لى بذلك، إلا أنها أبت إلا أن تعترف.

- هل تتزوجني؟!

- بالتأكيد، لكن..

- لا تلق لأحد بالاً، سوف يقبلون رغمًا عنهم..

وبالفعل والحق يقال إن والدها لم يعترض بل وافق ورحب بالأمر جدًّا، وحددنا موعدًا لكل شيء..

وتم كل شيء كما رسمناه..

وفى حفل صغير، أو لنقل عائلي جلست فيه مع (نهال)، وبعض أفراد عائلتها، تزوجنا دون أن أخبر جدي أو أدعوه على حفل الزفاف.

بالطبع لك أن تصدق أن كل ما حـدث كان دافعـه الحب، وكذلك لك أن تصدق أننى أحببتها، وتزوجتها وأنا لا أملك شروى نقير.

صدقني كم من شاب كان فى مثل تلك الظروف وقد أتيحت لهم فرصة مثل تِلك بكل هذه البساطة.. خلال أيام معدودة تعد على أصابع اليد وجدت نفسي

أجلس بمنامتي فى دارى مع زوجة حسناء وابنة رجل ثرى فكيف لى لا أحبها أو أرفض.

وهكذا تركت كل شيء، وسافرنا إلى الخـارج، وبدأت حياة جديدة هناك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7

تغيرت حياتي فى لمح البصر..

فيلا.. سيارة.. مال لا حصر له.. باختصار حياة طالما تمنيتها..

أصبح لدى عيادتي الخاصة.. فيلا يحلم بها أي شاب فى مقتبل العمر مثلى..

ولم يمر سوى عام حتى رزقني الله (على).. الذي أصبح كل شيء بالنسبة لى، لكن لم أهنأ بكل هذا؛ لأن حياتي التي تغيـرت، تغيرت معها (نهال) تمامًا إلى الأسوأ.

فليس كل ما يتمنى المرء يدركه..

كما قلت لك فقد تبدل حالها مائة وثمانين درجة.

وبالطبع كنت أتمالك أعصابي، وأترك لها المكان، وأنصرف..

أما عن (على) فقد ابتلى بمرض ما نادر، جعلني أنفق عليه كل ما كان لدى من أموال تخصني..

- ونهال.. زوجتك؟

قالها الرجل، فأضاف (شريف) فى أسى:

- لم تبال.. فلم تكن تر سوى نفسها فحسب..

قالها (شريف) ثم تنهد طويلاً وأضاف:

- حتى بعد وفاة (على)!

- توفى!!.. البقاء لله يا دكتور (شريف)..

قالها الرجل مواسيًا ثم أضاف:

- إن الدنيا هكذا.. لا تعطى المرء كل ما يتمناه.

- الحمد لله.. على كل دعني أكمل لك..

تبدل حاالى كثيرًا بعد وفاة على.. فقد تركت لحيتي تنمو كما تشاء، وأهملت عيادتي.. حتى الطعام لم يعد له مذاق فى فمي..

أما (نهال) فكانت فى وادٍ آخر..

كنت دائمًا أشعر بأنها ابتاعتني بأموالها، لذا لم أكـن أستطيع السيطرة عليها، حتى حدث ما حدث و.. وخانتني!!

- خانتك؟!

- نعم.. خانتني..

- كنت عائدًا من إحدى الملاهي الليلية، التي أذهب اليها كي أنسى كل شيء، حين رأيتها هى ومن معها فى فراشي!

بالطبع لم أصدق ما رأيت.. فقط أصابني الذهول وقتها، وتصلبت فى مكاني، وتزاحمت الأفكار فى رأسي، ووددت أن أفعل عدة أشياء، لكنني عدلت عنها جميعًا.. خفت.

تذكرت وقتها المشهد الخاص بفيلم غروب وشروق وما حدث مع الفنان (إبراهيم خان) عندما وجد زوجته سعاد حسنى فى فراش صديقه (رشدي أباظة)، فإذا به يمسكها ويجرها جرًّا حتى يصل إلى والدها (عزمي) باشا.. ويطلقها أمامه فإذا بعزمي باشا يدبر له حادثة قتل.. ويقتله..

تذكرت أنا هذا كله، فلم أقرر سوى أن أنسحب تمامًا من هذه الحياة تاركًا كل شيء لم يكن لى منذ البداية.

فجاء قراري بتطليقها.. حتى أحافظ على ما تبقى من حطام كرامتي.. ومن ثم معه قرار طردي مما كنت فيه..

وأخـذت بعضي وحجـزت على متن أول طائرة مغـادرًا إلى مصر، وعدت إلى جدي ومنزله بمصر القديمة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

ما فات هو ورقة على ما تبدو من تقرير المعمل الجنائي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

- الحاج (لطفي) صاحب محال الدهان أخبرني بأن لديه شيخ يجيد مثل هذه الأمور.

قالها (صفوت) الدكش وهو يعبث فى إحدى أصابع قدميه ثم أضاف: - وإلا فهذه الشقة ستظل كما هى إلى الأبد، وخصوصًا بعد مجيء الشرطة والنيابة والتحقيقات، فكل ذلك كان كفيلاً بفضح ما حدث فى الشقة.

شرد الحاج (حسن) قليلًا ثم قال:

- لا لن أفعل هذا.. لن ألجأ إلى تلك الخزعبلات.

- حسـنًا.. حسـنًا.. لكنك لن تجد بتلك الطريقة مستأجرًا ولا مشتريًا حتى تقوم الساعة.. صمت برهة ثم أضاف: - الكل قد علم ما دار فى تلك الشقة.. ولن يقترب منها أحد.

نهض الحاج (حسن) واتجه إلى الحمام وهو يفكر فى كلام (صفوت) مليًّا.

ثم خرج وهو يضيف:

- سوف أنتظر شهرًا آخر، وبعدها افعل ما تراه صوابًا..

- عين العقل..

ساد الصمت المكان قليلاً فقطعه (صفوت) قائلاً: - بحق.. ما أخبار حفيدك الدكتور (شريف)؟

نظـر (حسـن) إليـه فــى حـزن واضـح، ثـم جلـس عـلـى أقــرب أريـكـة وأضــاف: - والله لا أعلم عنه شيئًا يا (صفوت).. إن المرة الأخيرة التي ذهبت فيهـا كي أطمئن عليـه فى المستشفى التي كـان يعمل بها بمصر الجديدة أخبروني بأنه قد تركها، وتزوج من سيدة ثرية، وغادر البلاد..

- تزوج، وغادر البلاد. دون أن يخبرك؟!

قالها (صفوت) فى تعجب.

فتنهد (حسن) طويلاً ثم أضاف:

- نعم هذا ما حدث.. الولد الذي أضعت عمري لأجل أن يكون سندي وما هو عليه، الولد الذي جعلت منه طبيبًا.

نظر له (صفوت) وقال مواسيًا:

- أنت تعلم أنه شاب، وتعلم أيضًا أن تصرفات هؤلاء الشباب دائمًا ما تكون طائشة ...

قاطعه (حسن) قائلًا:

- أعلم هذا، لكن.. على كل حال أرجو من الله أن يوفقه للصواب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

من إحدى القرى الصغيرة البعيدة أتى الرجل، بعد اتصال وإلحاح ووساطة من الأحباب.

رائحة البخور تملأ الشقة بالكامل..

شكل الرجل يوحى بأنه دجال لا محالة، لكنها القشة التي تعلق بها (حسن).

ينظر (حسن) للرجل فى تشكك.. فهو لا يقتنع بهذه الأمور، لكنها القشة كما قلت.

بعض البسملة، والحوقلة، ومن ثم الكثير من البخور!

يشعر (حسـن) بأن الرجل نصاب بكل تأكيد، يرتدى عباءة قصيرة وعمة، ويدعى أنه شيخ ويفهم فى تلك الأمور.. فيقول له فى نفاد صبر: - هاه.. هل وجدت شيئًا عندك يا شيخ «قلة»؟

- شششش..

يلفظ بها «قلة» هذا، ثم يشير (صفوت) بإصبعه لحسن، وهو يضعه على فيه كي يصمت، ويدع ذلك «القلة» كما يقول «يشوف شغله».

- هل يوجد بينكما أحد غير طاهر.. إذا كان فيكم أحد جنبًا فليخرج من هذا المكان.

قالها فضغط (حسن) على أسنانه، وطمأنه من هذه الناحية.

أشعل الرجل بعض عيدان البخور، ثم أمرهم بأن يمسكا بأيدي بعضهما البعض، بعد أن أمرهم بتغطية جميع النوافذ بالبطاطين كي لا يتسرب الضوء إلى الداخل، ثم أمرهم بقراءة الفاتحة وترديد كلمة «قدوس»!

حسن يقل صبره تدريجيًّا، لكنه يحافظ على رباطة جأشه.

ثم توقفا عن الترديد بعد أن سمعا طرقًا شديدًا على زجاج نوافذ الغرفة والأبواب وجميع نوافذ الشقة، ثم بدأ «قلة» فى الارتعاد!!

ظل يرتعد، ويتمتم ببضع كلمات.. ثم رفع رأسه ناحية (حسن) بعين بيضاء تمامًا، وأضاف: - سلم على مولانا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

11

توجس (حسن) بعد أن نظر إليه وتراجع إلى الخلف ولم يفهم معنى الكلمة، فأضاف الرجل: إن يده تنتظر يمناك!

قالها وعاد طبيعيًّا مرة أخرى، وفى تلك اللحظة لم يتمالك (حسن) نفسه إلا وهو ينفجر صارخًا: كفى.. كفى هراء.. خذ حاجياتك، وتوكل على الله، وغادر شقتي الآن.

ثم أمسك بالأشياء المبعثرة التي وضعها «قلة» بجانبه، ودسها بين ضلوع «قلة» فى عصبية..

تاك.. تاك.. تاك!!

وقبل أن تتفاقم المشكلة.. تناهى إلى مسامع الثلاثة دقات متفرقة على الباب!

هدأ الجميع قليلاً، وذهب (صفوت) إلى الباب ليفتحه!

شقة للإيجار!

جاءت كلماته بسيطة هادئة واثقة وملقية حجرًا فى المياه الراكدة يصمت الجميع حتى ينصتوا أكثر.. فيكرر الرجل مرة أخرى: علمت أن هنالك شقة بتلك البناية للإيجار.

كلمات رصينة واثقة من رجل جاوز الأربعين.. الرجل ذاته يبدو عليه الوقار الحاد، لكن ملبسه كان غريبًا بعض الشئ فكان أقرب إلى ملابس عساكر الإفرنج!

- نعم تفضل..

يقولها (صفوت) وهو يشير بيديه إلى الداخل، ويفسح مجالاً لدخول الرجل..

رائحته مميزه حقًّا!

يقولها (صـفوت) همسًا، وهو يستنشق الهواء الممزوج برائحة الرجل.

ينظر «قلة» لحسن فى فخر ممتزج بنشوة الانتصار، ويقول فى قرارة نفسه: «هذا هو الدجل الذي اتهمتني به»، ثم يلملم حاجاته، وينصرف فى هدوء، وقبل أن يغلق الباب خلفه يضيف: - تذكر أنك ستحتاج إلى قريبًا.. قريبًا جدًّا.

- لم يبال الاثنان به، فقط نظر (حسن) للرجل، وأضاف: - شاي؟

- شكرًا.. لا شيء.. الشقة فحسب.

- قهوة؟

- هل الشقة خالية الآن؟

- نعم.. واضح أنك على عجلة من أمرك.. هل هى شقة للزوجية؟.. لكن أعتقد أنك متأخر.

لم يبدل الرجل من جلسته، وأضاف مقاطعًا: - لى شروط!

قالها وكأنه لم يستمع إلى جملة (صفوت) الأخيرة.

تبادل (حسن) و(صفوت) النظرات، ثم أضـاف (حسن) معربًا عن غرابة طلب الرجل: - عذرًا ومن أخبرك أننا سنوافق على إعطائك الشقة حتى تملى علينا شروطك هذه؟

- سوف تقبل على كل حال!

قالها الرجل بثقة شديدة، ثم أضاف:

- متى سأتسلم الشقة؟

نظر (صفوت) إلى (حسن) مرة أخرى نظرة ذات معنى، ثم قال (صفوت) فى شيء من التوتر ليحسم الأمر: - عذرًا.. ما هى شروطك تلك؟

بدل الرجل من جلسته ثم أضاف:

- سوف تجدونها غريبة بعض الشئ، لكنني أريد ذلك.. وهكذا بدأ يملى شروطه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

الشرط الأول:

أنا لا أحب الزيارات من أي نوع.. فأنا أميل إلى الوحدة، لذا لا أحب أن يصعد إلى أحد لأي غرض، وبالنسبة للإيجار فسوف تجده عندك فى ميعاده..

ماذا؟!

قالها (حسن) فى حدة، فأشار إليه (صفوت) أن دع الرجل يكمل، فصمت ليستمع.

الشرط الثاني:

لا عقد بيني وبينك!

الشرط الثالث:

لا أحب الأسئلة!

فرغ الرجل من شروطه، فتبادل الرجلان النظرات، ثم أضاف (حسن) بعصبية، وكاد ينهض، لولا أن (صفوت) اتكأ بيده على كتفه فمنعه: ماذا قلت؟

وكأن الرجل فهم السؤال بالمعنى الحرفي للكلمة، فأجاب: لن أكتب معك عقدًا، لكنه تعهد شرفي بيني وبينك..

ثم أدخل يده فى جيوب سترته، وأخرج حفنة من الأموال كانت كفيلة بشراء الشقة وليس تأجيرها فحسب، وألقاها على المنضدة، وأضاف: - هذه أجرة شهرين كاملين.. كي أبدى (حسن) نواياي!

نظر (صفوت) إلى (حسن) مرة أخرى، وأضاف وهو يمد يده ليلتقط النقود: - حسنًا حسنًا.. موافقون.

- هذا عهد!!

قالها الرجل مؤكدًا للمرة الأخيرة.

نظر (حسن) إلى (صفوت) فى تعجب، فأماء له (صفوت) وهو يضيف هامسًا: - سوف أتحدث معك لاحقًا..

وهكذا لم يجد (حسن) مناصًا من القبول.

ابتسم الرجـل ابتسامة واثقـة، ثم نهض شاكرًا وقبل أن ينصرف أدار ظهره للرجلين وأضاف بعد أن تغيرت ملامح وجهه تمامًا: - هذا عهد، فالحذر الحذر!!

قالها ثم انصرف، تاركًا الرجلين مبلبلي الأفكار!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

جلس الرجلان شاردي الذهن برهة ...

ثم قطع ذلك الصمت (صفوت) الذي قال لحسن مازحًا: - أظن أن «قلة» قد أجاد عمله حقًّا..

- لكن أنا.. أقصد.. أن ذلك الرجل لم يرحني قط. ألم تر ملبسه؟!

قالها (حسن) وهو لا يزال شاردًا ...

نظر له (صفوت) وبدأ يطمئنه قائلاً: - أما عن ملبسه فهو حر فيه، أما عن عدم وجود عقد بينك وبينه، فهذا فى صالحنا، وبيني وبينك ما يهمنا هو تلك الأموال، وأننا قد تخلصنا من تلك الشقة أخيرًا.

ثم ابتسم فى خبث وأضاف:

- ولو ظهر منه شيء بمرور الأيام.. نطرده شر طردة، وأعتقد أننا سنستفيد من إيجاره لها، ألم تر ما معه من أموال، لقد أعطانا حفنة من الأموال، تكفي شهورًا. بل تكفي لشراء بيتك هذا.

تنهد (حسن)، وهو يضيف:

- وهذا ما أثار ريبتي..

على كل حال، دع الأيام تفعل ما تشاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

نهض (حسن) مذعورًا على صوت الدقات.. فرك فى عينيه، وأدخل قدميه فى خفه وغادر الفراش ليضيء الغرفة، ويصيخ السمع..

تك تك تك!!

إنها قادمة مـن سقف شقته.. بالتحديد من شقة المستأجر الجديد.. الرجل..

إياه..

اسمه؟ لا لم يذكر اسمه..

نظر فى ساعته ليجدها الثالثة صباحًا.. أمسك بسماعة الهاتف، وطلب رقم (صفوت).

ودارت بينهم هذه المحادثة: - ألوو.. سلام عليكم

- أأو.. وو.. «صوت شخص يتثاءب..»

- (صفوت) معي؟

- أيو.. و..ه.. مين؟

- أنا (حسن) يا (صفوت)..

- خيرًا يا (حسن)؟

- لا زالت الدقات مستمرة!

- أي دقات؟

- أفق معي يا رجل.. الدقات قد عادت مرة أخرى!

- حسنًا..

- ما الحسن فى ذلك، لقد أخبرتك أننى لست مطمئنًّا لذلك الرجل.

- وماذا تريد منى الآن أن أطرده؟

- نعم.. ألم يخطر ببالك أنه من الممكن أن يكون قد استأجر الشقة كي يرتكب فيها جريمة ما أو مصيبة ما، وقد استغل عدم وجود عقد بيني وبينه، وهذا فى صالحه فلن يمسه سوء أن فعل أي شيء بداخلها.

انتبه (صفوت) لما يقوله (حسن)، فأفاق، وبدا ينصت جيدًا، ثم أضاف: - إذًا ما الذي تريدني أن أفعله الآن؟

- نصعد كي نرى ما الذي يحدث داخلها أولاً.

- ستحطم الباب؟

- بالطبع لا.. فلدى نسخة من المفتاح..

- حسنًا، سوف أصعد إليك حالاً، سوف أبدل ملابسي فحسب.

قالها (صفوت) بعد أن أضاء نور الصالة ليرى ساعة الحائط فوجدها الثالثة صباحًا فأضاف مترددًا: - لكن الوقت يبدو ...

قاطعه (حسن)، قائلاً:

- هذا هو الوقت المناسب لن يرانا أحد، فالكل نائم.

- حسنًا سوف أصعد..

- أنا منتظرك؟

ترك.. ترك.. صوت غلق السماعة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

يقطع (حسن) الشقة جيئة وذهابًا..

تك.. تك..

صوت خطوات أحد يصعد الدرج..

يهرول ناحية باب الشقة، ويدلف إلى الخارج.. ليجد (صفوت) لا يزال يصعد.. فيضم معطفه ليقيه من البرد القادم من بئر السلم..

وببطء وتؤدة يتقدمه إلى أعلى. ويصعد الكهلان الدرج متجهين إلى شقة الرجل..

أخرج (حسن) المفتاح من جيوب معطفه، وأولجه فى الباب وأداره مرتين، فانفتح الباب، ودلفا إلى الداخل!

همس (صفوت) فى أذن (حسن):

- من (حسن) الحظ أن الرجل قد ترك المصباح الكهربي الخاص بالباب مضيئًا حتى نرى مكان المفتاح..

لم يسمعه (حسن) جيدًا، وأخذ يتقدم داخل الشقة فى ترقب وحذر..، ثم ضغط على الزر الموجود على الحائط ليضيء المكان.

عم الصمت المكان، إلا من صوت أنفاس الرجلين، ودقات قلبيهما..

- ما هذا؟!

قالها (صفوت) قاطعًا الصمت فأجابه (حسن):

- إن الأثاث كما هو، منذ وفاة الحاج (عزت) رحمه الله!

- كيف يحيا ذلك الرجل ها هنا؟!

- أعتقد أنه لا يمكث فيها، ربما استأجرها، كي يجعل منها مخزنًا، أو شيء من ذلك القبيل.

- على كل.. لقد صعدنا لغرض واحد، وهو تلك الدقات؟

- نعم.. الدقات، لقد نسيت أمرها تمامًا..

وقبل أن يكمل عبارته.. بترها وقع أقدام قادم من الحمام!!

لم يجد الكهلان وقتًا للفرار، كل ما فعلوه هو التصلب ومن ثم انتظار صاحب الخطوات!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف الكهلان يرتجفان فى هلع، ينتظران صاحب الخطوات، لكن لا شيء لم يظهر أحد!

هدَّءا من روعهما، وتنفسا الصعداء.. ولم تمر سوى ثوان حتى بدأ فى سقف الشقة يظهر دائرة من الدخان الأبيض الكثيف، وكأن هنالك شيئًا ما يحترق!

وفجأة بدأ طرق شديد على زجاج النوافذ بأكملها!!

بالطبع لم ينتظر الكهلان أكثر من ذلك، حتى يفرا بجلديهما إلى خارج الشقة، ومن ثم يهرعا إلى أسفل الدرج.. وهما يبسملان ويحوقلان، ويستعيذان بالله من الشيطان الرجيم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

16

داخل شقة (حسن).. جلس الرجلان يتبادلان الحديث..

- هذه الشقة مسكونة!!

قالها (صفوت) وهو يلهث ويقبض بيده على صدره.

جلس (حسن) الذي لم يفتر عن البسملة والاستعاذة على أقرب أريكة ليلتقط أنفاسه، ثم أضاف: - نحمد الله أننا خرجنا سالمين.

وصمت برهة، ثم قال:

- وأحمد الله على أننى قد تخلصت منها كذلك..

- بكل تأكيد إن ذلك الرجل لم يأت إليها ولم يمكث فيها لهذا السبب

قالها (صفوت) ثم جرع من كوب المياه ثلاثًا، وأضاف: - هل تعتقد أنه قد تركها للأبد؟

- لا أعتقد، لأنه قد أعطاني الأجرة منذ أيام، ولو كان لاحظ شيئًا لما أعطاني إياه..

- إذن لماذا لم يمكث فيها؟!

قالها (صفوت)، ثم أضاف فى تأسى:

- لكننا ارتكبنا خطأ وأنت نسيت وجعلتني أرتكبه معك!

قالها (صفوت)، فأضاف (حسن) بغرابة: - خطأ؟.. ما هو؟

- لقد نقضنا العهد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قالها (حسن)، وتناهى صوت آذان الفجر إلى مسامعهم..

فأضاف (صفوت)، وهو ينهض فى تثاقل: - سوف أنصرف أنا الآن، حتى أصلى الفجر، وسوف أعود إليك ظهرًا إن شاء الله..

قالها وأضاف:

ألن تأتى معي؟

نهض (حسن) بدوره، مضيفًا:

- اذهب أنت، وسوف ألحق بك..

وهكذا ترك صفوت (حسن)، وهبط فى الدرج، لكنه دلف إلى شقته، وأكمل نومه إلى الصباح، وترك (حسن) يذهب بمفرده إلى المسجد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرج الحاج (حسن) إلى الطرقات. لا يوجد سوى عامود إنارة واحد، وإضاءته الخافتة تتبدد فى الظلام..

فأعمده الإنارة معظمها متهالكة.. لذلك الضوء ضعيف جدًّا..

سار الحاج (حسن) فى تؤدة.. ألقى السلام على (شوقي) صاحب الحانوت، الذي رآه يدلف إلى خارج المنزل.. «هو يعرف أن (شوقي) هذا يصلى الفجر ثم يعود ليفتح بقالته، ويجلس بداخلها حتى العاشرة مساءً.. ثم يغلقها ويصعد إلى شقته التي تعلوها.

ألقى عليه السلام، ثم أكمل طريقه نحو المسجد..

حينئذ.. لمح ذلك النور الذي أخذ يتقدم نحوه فى جنون!

ضوء قادم من كشافين لسيارة ما!

أراد أن يلقى بنفسه يمينًا أو يسارًا، لكن جسده لم يساعده..

أراد أن يرتمى بنفسه على الأرض حتى يتفادى ذلك المخبول، لكنه لم يستطع..

فعلم أنه ....

«تراااااااااااااااااااااااك»

اصطدمت السيارة بالحاج (حسن) ملقية إياه على جانب الطريق، ثم فرت مسرعة!

هرول (شوقي) تجاه جسد الحاج (حسن)، الذي تمدد غارقًا فى دمائه على إحدى جوانب الطريق..

حاول جاهدًا أن يلتقط أية أرقام، لكن السيارة كانت قد ابتعدت كثيرًا..

كل ما لاحظه هو لونها الأسود، الذي جعلها أقرب كثيرًا إلى سيارات الموتى!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

17

«عدت إلى جدي فى منزله بمصر القديمة..، لكنه كان قد توفى!!

قالها (شريف) للرجل ثم أضاف:

«وورثت المنزل، وأصبحت كل مهمتي فى الحياة أن أتقاضى من السكان الإيجار «زهيد» كما أخبرتك، لكنني كنت أحتاج إليه وقتها».

كيف علمت أن جدك قد توفاه الله؟!

قالها الرجل مستفسرًا، فأجابه (شريف):.

- (صفوت).. (صفوت الدندراوي) رجل مسن، جار جدي رحمه الله، وصديقه، وأحد القاطنين فى البناية، قابلته وجلست معه وحكى لى عن جدي، وأخبرني أنه مات رحمه الله، جراء حادث سيارة.، وأنه طالما تمنى لى حياة كريمة، غير تلك التي كنت أحياها.. وأن جدي تحدث معه عنى كثيرًا.

- رحمه الله.

- وهكذا مرت الليالي كئيبة.. مملة، طويلة لكنها لم تستمر هكذا، لأنها تبدلت، وتغيرت تغيرًا مفاجئًا.. تغيرًا يشبه النوم، فأنت لا تدري متى نمت، أو كيف نمت؟

- كيف؟!

قالها الرجل وقد بدل جلسته..

- منذ أن أتأنى ذلك الرجل ليستأجر الشقة العلوية.. رجل تبدو عليه ملامح الوقار الحاد.. حتى رائحته كانت مميزة حقًّا!

عرض على أن يستأجر الشقة الأخيرة.. مقابل إيجار ليس بهين، لكنني وبحق لم أشعر ناحيته براحة مطلقًا.. أعتقد أن هالتينا لم تتوافقا قط.

- ماذا؟

قالها الرجل، فأدرك (شريف) أنه لا يحدث طبيبًا، فأضاف: لا عليك.. على كلٍّ لم أسترح له، لذا أبيت.

لماذا؟.. خاصة وأنك كنت تحتاج وقتها إلى المال؟

قالها الرجل بشغف واضح لشريف، الذي أضاف: سأخبرك بالقصة من البداية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

18

كنت أجلس حينها مع عم (صفوت) أتحدث معه بصدد تلك الشقة العلوية الخالية حين دق جرس الباب ودلف رجل وقور يبدو من ملامحه أنه ليس مصري وجاوز الأربعين إلى الداخل وجلس على المقعد فى ثقة.. رائحته كانت مميزة كما أخبرتك.

جلست أنا إلى جوار عم (صفوت)، الذي همس فى أذنى بأنه يعرف ذلك الرجل جيدًا، وأنه استأجر من جدي رحمه الله تلك الشقة، التي كنا نتحدث عنها.

أومأت له برأسي محييًا، ثم أضفت وأنا أنظر إلى الرجل موجهًا حديثي إليه: - حسنًا.. هل من الممكن أن أرى العقد؟

- لا.. لأننا لم نحرر عقدًا!

قالها الرجل مجيبًا، فأضفت أنا بتعجب:

- وهل هناك التزام دون عقد؟

فأجابني ببرود واضح:

- لقد كان هذا شرطًا من شروطي، وقد قبله جدك.

- شروط؟!

- نعم.

قالها بعد أن نظر إلى عم (صفوت) الذي تلعثم من جراء نظرته تلك، وأضاف: - نعم نعم أذكر ذلك جيدًا.. لقد اتفق معه جدك رحمه الله على ذلك.

نظرت إلى الرجل وقد «بدأ الفأر يلعب فى عبى» ثم أضفت: - أنصت إذن إلى يا أستاذ.. أيًّا كان اسمك.. أولاً لن أجعلك تصعد إلى الشقة حتى ولو كان جدي - رحمه الله - قد أبرم معك اتفاقًا بالفعل، وإن كان فاعتبره كأن لم يكن فمن أبرمت معه الاتفاق قد ذهب بلا رجعة.. وأنا المالك الآن أفعل بها وأتصرف كما أشاء أنا، وليس جدي.

- لماذا؟

قالها الرجل ببرودته ولزوجته، وقد بدل من جلسته ثم أضاف: - سوف أعطيك ما تطلبه أيًّا كان!

- لن أؤجرها.. وإن فعلت لن أؤجرها لك أنت تحديدًا، هل تعلم لماذا؟ لأنني لم أسترح لك منذ رأيتك.

قلتها له بفظاظة واضحة، وأنا أعي تمامًا أننى فى أمس الحاجة إلى ذلك المال.. قلتها وانتظرت منه ردة فعل شنعاء، لكنه كان باردًا كديدنه.

فقط ابتسم فى خبث واضح ثم أضاف:

- سوف أعطيك بدلاً منها أخرى كي تجعلها عيادة خاصة!

كدت أتراجع مشدوهًا مما قاله، فكيف علم أننى طبيب، وكيف علم أننى كنت أفكر فى عيادة، فهذه الأخيرة لم أحدث بها إلا نفسي، إلا أنني لم أفعل، فقط صمت وحافظت على رباطة جأشي، فأضاف هو، مبتسمًا: أيًّا كان ما تقوله عنى وما تشعر به تجاهي فأنا لن ألومك عليه. أما عن الشقة فأنا أحتاجها بالفعل، ومع ذلك، لن أستطيع أن أبرم معك عقدًا، فهنالك أسباب تمنعني.

أضفت أنا بعد أن لملمت أعصابي:

لن أفعل..

قلتها ناهضًا، معلنًا انتهاء المناقشة، لكنه ظل كما هو لم يحرك ساكنًا..

ابتسم عم (صفوت) ابتسامة صفراء ثم أضاف سائلاً إياه: - لماذا هذه الشقة بالتحديد يا أستاذ؟

تبدل لون بشرة الرجل، وتغيرت نبرة صوته وأضاف دون أن يعير كلام (صفوت) اهتمامًا: - صدقني.. لن تفيدك فى شيء.. تخلص منها، وسوف أعطيك ما تحتاج.

نظر لى عم (صفوت) نظرة ذات معنى وأضاف:

- لا مؤاخذة يا أستاذ.. هناك الكثير من الشقق الفاخرة فى منطقتنا هذه، التي تنتظر مستأجرًا لماذا تصر على هذه؟! من الممكن أن آخذك و.

رفع الرجل عينيه ناحية عم (صفوت) وأضاف بذات التؤدة: - أنا أحتاجها هى!!

- لن أؤجرها، هذا قرار نهائي، ولن آخذ منك شيئًا.

هكذا كررت عبارتي، لكن بنبرة حادة هذه المرة..

فلم يجد الرجل مناصًا من النهوض منصرفًا، لكنه أضاف قبل خروجه: - صدقني لن تفيدك.. لن تجلب لك سوى المتاعب!

قالها ودلف إلى الخارج، وأغلق الباب خلفه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

19

نظر لى عم (صفوت) وأضاف بعد أن غادر الرجل الشقة:

- لماذا لم تؤجرها له يا بنى فأنت تحتاج إلى كل مليم الآن؟!

قالها ثم أردف كأن هناك من يستمع إليه غيرى، ولا يريده أن يسمع:

- ثم إن تلك الشقة يا بنى تسكنها الشياطين، والعفاريت!.. لقد رأيت ذلك بعيني وقد رآه جدك رحمه الله معي، وحينما أتت الشرطة بعد مقتل الحاج (عزت) بها.. وجدوا بداخلها الكثير من الطلاسم وكتب السحر.. صدقني هذه الشقة مسكونة.

ابتسمت وأنا أضيف غير عابئ:

- لا تقلق يا عم (صفوت).. لا يوجد شيء مثل هذا، ثم إن ذلك الكلام يسىء لسمعة الشقة أكثر مما هى عليه.

نظر إلى وأضاف:

- الجان والشياطين قد ذكروا فى القرآن وفى كل الكتب السماوية، فكيف لك أن تنكرها.

نظرت له بلا مبالاة، وابتسمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع كنت أفكر فى تأجير الشقة على الرغم من حديث عم (صفوت) عن الجان وروح القتيل التي لم تغادرها، وإن كـان صحيحًا فسيأتي لها مستأجرًا يومًا من الأيام مثلما جاء ذلك الغريب.

المشكلة الحقيقية وقتها هو عدم امتلاكي لأي مال يبدل من حالتها المزرية.. فقررت عرضها كما هى، عسى أن أجد مشتريًا عديم الذوق أو فاقدًا للبصر.. وبدأت بالفعل إنشاء إعلانات مجانية على صفحات الإنترنت.

لكن لا جدوى!!

مرت الشهور دون جدوى، لذا قررت أن أصنع إعلانًا بنفسي أحضرت ورقة من الورق المقوى، وخطت عليها الإعلان بخط عريض سميك يراه ضعيف النظر «شقة للإيجار أو البيع» وقررت تعليقها فى شرفة الأستاذ «.....» لا أذكر اسمه الذي يقطن فى الطابق الثاني.

لكن الوقت كان قد تأخر، لذا وضعتها أمامي على منضدة صغيرة، ودلفت إلى غرفة النوم، ومن ثم الفراش.

وضعت رأسي على الوسادة حالمًا بليلة هانئة.. حلم جميل، لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

20

دعني أصف لك المشهد بدقة أكثر..

الجو حينها كان باردًا حقًّا..

لذا كنت أدثر بعدد لا بأس به من البطاطين، أو لنقل إننى كنت أدفن نفسي أسفلهم، وكنت أرتجف رغم ذلك!

أطفأت المصباح الكهربي الصغير إلى جواري، فأصبحت الشقة جميعها مظلمة..

عندها دوى صوت الدقات على باب شقتي!

شعرت بالضيق والذعر، انتظرت حتى يدق مرة أخرى.

فربما كان أحمقًا من الذين يحبون قرع الأبواب كالأطفال.. أو ربما كان بالفعل طفلاً.

لذا جلست على الفراش، وأضأت المصباح وانتظرت الدقة التي تجعلني أغـادر الفراش كي أفتح، لكنها لم تأت، لذا اعتقدت أن ذلك السمج قد رحل، لكن.

تاك تاك!

دوى صوت الدقات مرة أخرى!

لم أجد مناصًا تلك المرة من المغادرة.

ما إن وصلت إلى الباب حتى أضأت نور المدخل، ونظرت عبر الفرجة

لكن الضوء كان خافتًا، فلم يسمح لى برؤية الزائر الذي طفق ينتظر خلف الباب.

لذا فتحت الباب ليلفحني الهواء القادم من الخارج، لكنني لم أجد أحدًا.. لا شيء.. لا أحد بالخارج!!

استدرت، وعاودت أدراجي إلى الفراش مرة أخرى، لكن الدقات عادت من جديد.. لم أستجب لها تلك المرة، وحاولت أن أنام، ودسست رأسي تحت الوسادة، لكنها تزايدت، وتعالى صوتها!!

عندها اهتديت إلى أن هنالك (علقـة) ساخنة تنتظر ذلك (السمج)، فأزحت الغطاء، ونهضت متجهًا نحو الباب مرة أخرى، لكنني فتحته هذه المرة بعصبية شديدة، ومنذرًا كذلك بالويل!!

لكن لا شيء.. لا أحد على الإطلاق، لا شيء سوى الهواء البارد الذي يتخلل بئر السلم.

تقدمت خطوتين إلى الأمام، ونظرت إلى أعلى ثم أسفل، لكن لا شيء لا أثر لأحد على الإطلاق!

دلفت إلى الداخل، وصفعت الباب.. التقط زجاجة ميـاه وجرعت كوبًا منها، ومن ثم عدت إلى الفراش بعد أن أطفأت النور مرة أخرى، ووضعت الوسادة فوق رأسي حتى تقيني تلك الدقات، لكنها وفى شيء من السلاسة وصلت مرة أخرى إلى.. حاولت تجاهلها، لكنني لم أستطع.. لذا أعلنت عن عدم نومي تلك الليلة!

نهضت هذه المرة واتجهت ناحية الباب وأنا أقسم أن أحطم رأس من يقف خلفه، بعد أن تناولت عصا المكنسة، لكنني لم أجد أحدًا مرة أخرى!

كدت أجن مما يحدث، تقدمت قليلاً فوقعت عيناي على ذلك المظروف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صغير بعض الشئ.. أحمر قاتم، بلا طوابع!

التقطه، وأفرغت محتواه!

لم يكن به سوى ورقة بيضاء مطوية كتب عليها بخط منمق..

(أنا شخص يريد أن يساعدك)!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

21

- وماذا فعلت فى تلك الليلة؟

قالها الرجل لشريف، ثم أردف:

- بالطبع لم تنم ليلتها..

نظر له (شريف) ثم أكمل:

بكل تأكيد، ظللت ساهرًا.. أرمق الظرف، وأتساءل مائة سؤال..

لكنني فى لحظة ما، لا أدرى متى، كانت قواي قد خارت، وثقلت جفوني وغبت عن عالمنا هذا ونمت!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى اليوم التالي ...

نهضت على صوت قرع مفتاح «بائع الأنابيب» لرأسي.

نظرت إلى الساعة فوجدتها الواحدة ظهرًا..

نهضت لأحضر الورقة المقواة التي نسيت أمرها تمامًا، وكانت الطامة الكبرى!

وجدت الحبر الذي كتبت به الليلة السابقة قد تم محوه تمامًا كأنه لم يكن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ومر الباقي من ذلك اليوم طبيعي، لكنه كما يقولون..

«انقلب رأسًا على عقب».. فى نهايته، بالتحديد فى الواحدة بعد منتصف الليل فلم يرتض النوم أن يحل ضيفًا على..

كنت ساهرًا كذئب إن كان الذئب يظل ساهرًا، أتابع التلفاز..

الثالثة صباحًا.. غلبني النعاس، وثقلت عيناي، فأخذت بعضي وذهبت إلى الفراش، لكن..

تن تن تن

قبل أن أصل.. دق جرس الباب!

ذهبت وأنا أجر نفسي جرًّا كي أفتح، لكنني لم أجد أحدًا!

قررت أن هناك من سوف يعبث معي مثلما فعل الليلة الماضية، لكن هيهات دلفت إلى الداخل وأحضرت العصا وجلست خلف الباب أنتظر..

لا أعلم كم من الوقت قد مر وأنا على ذات الجلسة، لأنني لا أعلم كذلك أننى.. نمت.

«تك ... تك»..

نهضت من على المقعد واتخذت موضعًا هجوميًّا خلف الباب، حين شرعت فى فتحه!

لكنني وكالعادة لم أجد أحدًا..

هذه المرة توترت أعصابي، وبدأت فى فقدانها شيئًا فشيئًا..

بالطبع لم أطلق سبابًا، لأنه سوف يجلب لى المزيد من التوتر.. فكرت فى الركض إلى أسفل أو إلى أعلى كي أمسك بذلك المهرج اللعين، لكن ماذا لو انغلق باب الشقة خلفي، فوقتها سوف أمضى ليلة سوداء على الدرج فى ذلك البرد!

بالطبع فكرت فى جلب المفاتيح ومن ثم الهبوط، لكنني عدلت عن تلك الفكرة فلم تبد لى فكرة طيبة..

لأن الخوف وقتها كان قد وجد طريقه إلى قلبي وشعرت بأن الأمر قد فاق مزاح الأطفال لذا مكثت فى شقتي، منتظرًا نور الصباح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

22

تنهد (شريف) ثم أضاف: - وحتى لا أطيل عليك.. فقد جاءني المظروف الثاني بذات الطريقة وكان يحوي الآتي:

لك أن تتخيل وقتها كيف كان حاالى، كدت أجن..

دلفت إلى شقتي، وقد بدأت التساؤلات تحتشد فى رأسي كالذباب، دون إجابة واحدة..

كيف علم اسمي؟!

كيف علم أننى كنت أقف على السلم بالفعل؟!

كيف علم أننى أحتاج إلى مال؟!

هل كان يراني بالفعل؟!

ما ذلك الشئ؟؟!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

23

لن أخبرك بأنني قد بدأت أشك فى كل ركن فى شقتي، وأبحث فيه، عن أي شيء، لكن دون جدوى!

هناك شيء تحرك فى المرآة!

لا بل لم يحدث، وهكذا كانت أسوأ وأسود أيام حياتي..

لكن نهار يوم جديد سوف يغسل كل ذلك، الشئ المهم هو أن يأتي ذلك النهار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدلت فى الصباح ثيابي، وعزمت على الذهاب، إلى العنوان إياه..

ربما تنعتني بالجنون، لكنى وددت الراحة، فلقد بدأت رحلة البحث عن راحتي فلقد قدرت أن الدقات سوف تستمر إلى أن أفعل ما قد أملاه على ذلك المخبول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان المكان كما قال أرض جرداء أقرب إلى الخرائب، ولحسن حظي لم يكن له خفير، كدت أتوغل إلى الداخل، لكنني تصلبت فى مكاني، لأنني فى تلك اللحظة بالذات لاحظت أننى لست وحدي!

كان هناك كلاب.. بل الكثير منها..

تصلبت فى مكاني عندما رأيتها تنبح متحفزة ومنذرة بالويل.

كدت أعاود أدراجي، لكنني لم أفعل فماذا لو انقض على أحدهم، وأنشب أنيابه فى قدمى، أو ربما تعثرت عند فراري وسقطت فدُق عنقي أو نشب أحدهم أسنانه فى رقبتي حين ذاك.

فى تلك الأثناء، لمحت رجلاً أسمر اللون، يرتدى ثيابًا رثة.. بدا عليه التشرد ابتسم لى فى بلاهة، ثم أضاف: أنت تخشى الكلاب، وتود أن تقضى حاجتك، أعلم هذا.

لم أجبـه.. فقط أومأت برأسي موافقًا، ومبـادلاً إيـاه تلك الابتسامة، فابتسم مرة أخرى، وطفق يتوغـل إلى الداخـل ممسكًا إياى من معصمي كأنني طفل صغير، عابرًا بي تلك الكلاب، التي أخذت تزمجر دون أن تفعل شيئًا.. لم يعرها هو اهتمامًا، كأنه يعلم جيدًا ما يفعله.

ما إن وصل بي إلى ركن ما بتلك الخرائب، حتى وقفت، أبادله النظرات، فابتسم مضيفًا: حسنًا، اقض حاجتك، ونادِ على حينما تفرغ، حتى آتى إليك، لأعيدك.

أجبته مرة أخرى بذات الإماءة.. فانصرف هو بعد أن ألقم كلبًا من تلك الكلاب حجرًا ففر الكلب هاربًا، وخلفه الباقون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتظرت حتى غاب عن ناظري، واتجهت فى تؤدة إلى البرميل الوحيد الموجود.

كان صدئًا للغاية، فاقدًا غطاءه.. مددت يدي داخله فى حذر وأخرجتها، ظافرًا بكيس بلاستيكي أسود، خمنت أنه مبتغاي، لذا دسسته بين طيات ملابسي دون أن يراني أحد، حتى الكلاب، لأنها فرت إلى مكان ما.. ورحت أتحسس طريقي عائدًا من حيث أتيت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

24

وفى شقتي أفرغت محتواه!

خمسة آلاف أو يزيدون هو ما حواه الكيس!

قدرت أن هذا الشخص معتوه لا محالة، أو مخبول، فلا أحد يفعل هذا بلا مقابل.. جلست حالمًا وغير مستوعب أيضًا..

حالما فى كيفية إنفاق ذلك المبلغ، خاصة وأنني وقتها لم أكن أملك سوى أقل القليل، وأمضيت من الفترات الكثير وأنا على تلك الحالة من الفقر المدقع..

وتحول عقلى إلى قلم مشغول بكتابة، وتخيل ما سوف أنفقه، وكيف أنفقه؟

وهكذا اختفت الدقات لأيام..

وقدرت أنها ساعة الحظ وأنه القدر الذي قرر أن يبتسم لى مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وكنت أنا قد أنفقت المبلغ بالكامل.. فصرت أنتظر الدقات، لأنها تأتى بالخير كذلك، لكنها لم تأت، فأنت تعلم أنك حين تنتظر شيئًا فهو لن يأتي بكل تأكيد.. ففترت الدقات.

ـ لقد صارت بالنسبة إليك مصدرًا للرزق..

قالها الرجل فنظر له (شريف) وأضاف:

- بالفعل لكــن - كما قلت - دون جــدوى، انتظــرت وانتظــرت دون جدوى..

وبعد فترة عادت الدقات!

نهضت ملهوفًا، شققت طريقي نحو الباب وفتحته، وتلقيت الرسالة الثالثة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تناولتها فى فضول، وأغلقت الباب، ثم دلفت إلى الصالة لأتفحصها فى الضوء الكهربي بالداخل..

هذه المرة قد بدأ على الفور دون أية صيغة مخاطبة /

- وهكذا انتهى الخطاب!

- هذا شيء يثير الريبة..

قالها الرجل ثم أضاف:

- وهل قبلت بهذا؟

نهض (شريف) وقطع الزنزانة جيئة وذهابًا ثم أضاف: - لقد وافقت، لا أعلم كيف، لقد شعرت وقتها أننى مسير، ولست مخيرًا؟!

وعلى الرغم مما جلبه لى ذلك الموضوع من توتر، فإنه قد قتل الملل الذي كنت فيه، وأنجب محله إثارة لا حدود لها فلم لا أجرب، خاصة وأنني لن ألتزم بأي شيء مما ذكره من ذلك الهراء، فمن كتبه مخبول لا محالة.

وعلى هذا بدأت أنفق الأموال التي تأتيني على ما أريد، ونسيت أمر بيع أو تأجير الشقة العلوية تمامًا!.

فما كنت أحتاجه من بيعها أو تأجيرها هو الأموال، وقد جاءتني وصرت أنفق ويأتيني بمثلها، ومثلها.. بلا رقيب ولا عتيد..

فقد قال لى:

«أنت تريد المال، وسوف أعطيك إياه».

وقد صدق، إلا أن ماكينة الصرف تلك قد توقفت، وتوقفت معها تلك الأموال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

25

وعادت الحياة.. رتيبة.. مملة مرة أخرى، حتى جاء ذلك اليوم، الذي صعد إلى فيه السيد (أمين)، ودق جرس الباب.

فتحت، لأجده مبتسمًا، مضيفًا وهو يناولني مظروفًا: - لقد وجدت هذا على باب الشقة!

بالطبع علمت أنه ضالتي.

تناولته منه وأضفت:

- شكرًا لك، لكن لما صـعدت إلى هنـا؟!.. أ.. أقصـد أين وجدت هذا؟

أجابني فى إحراج:

- لـ ... لقد صعدت كي أعطيك أجرة ذلك الشهر والشهر الماضي، لأنك لم تأت لتأخذها، و ... وهذا ليس ديدنك.

ابتسمت فى خجل، وتناولت من يديه النقود، ودعوته إلى الداخل كي يحتسى معي كوبًا من الشاي.، لكنه شكرني وانصرف.

دلفت للداخل، وجلست على أقرب أريكة وبدأت فى قراءة الرسالة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أضاف الرجل:

- وهل ابتعت سيارة؟

ابتسم (شريف)، وأضاف:

- نعم فعلت.. فالأموال كثيرة، صحيح أنها ليست فارهة، أو آخر موديل، لكن لا بأس بها على الإطلاق.. ما دامت تؤدى الغرض.

- لكن كيف علم بهذا؟ أو من أخبره أنك ابتعت سيارة؟!

- لا أعلم أو بالأحرى لم أكن أعلم، فربما كان يراقبني حينها.

- ربما!!

قالها الرجل، ثم أضاف فى شغف واضح: - أكمل يا أستاذ لقد راقت لى القصة بحق.

التقط (شريف) أنفاسه، ثم أضاف: - هذه ليست قصة أن هذا ما حدث بالفعل.

ابتسم الرجل، ثم أضاف:

- نعم أعرف، ما أقصده هو أن ما حدث لك قد أثار شغفي بحق، وأود أن تكمل فأنا أصدق كل حرف قد قصصته على.

نظر إليه (شريف)، ثم أضاف:

- أتصدقني بالفعل؟!

- نعم.

قالها الرجل فابتسم (شريف)، وقد قرر الاسترسال: - أصارحك القول.. لقد ارتجفت هلعًا فى البداية، ثم قررت أن أفعل ما طلبه.

منى ذلك المجهول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

26

- هل جننت يا رجل؟! ألم تفكر ولو للحظة أنه يورطك فى مصيبة؟

قالها الرجل متعجبًا، وهو يعلم أن حديثه ذلك، لن يجدي نفعًا كذلك، فأجابه (شريف): - ليس جنونًا، فقط فكرت فوجدت أنه لا خوف على من أي شيء.. مجرد عمل بسيط وبعده سأحصل على المبلغ وهذا ما أريده، لذا فقد فعلت ما طلب منى بالحرف الواحد.. ولم يحدث شيء.. ولم تقع وقتها أية مصيبة.

فقط ذهبت إلى العنوان المكتوب وألقيت بها من تحت الباب، وذهبت بعدها إلى الخرائب وبعدها إلى البرميل والتقطت الكيس الذي حوى المال المتفق عليه.

قال ما قال، ثم أضاف، وقد علم ما دار بخلد الرجل: - بالطبع ارتبت فى الجيران، لكن من يستطيع عمل ذلك أو من له مصلحة فى مساعدتي أو حتى يملك هذه الأموال، ثم كيف سيفكر أو كيف سيصل به تفكيره إلى كل ذلك السيناريو؟

- صحيح أنت على حق

قالها الرجل ثم أضاف:

- إذًا هو أحد من خارج المنزل و...

قاطعه (شريف) قائلاً:

- هذا فيه استحالة، لأنني لا أنام إلا بعد التأكد من إغلاق البوابة الخارجية للبناية بأكملها.

أصلح الرجل من جلسته وتساءل: - من هم؟

ثم أضاف:

- هذا فاق الطبيعي بكثير.

- من تقصد بهم؟

- الجيران..

- هذا لا يعنينا فى شيء، وعلى كل هم: مم....مم (أمين) لا أعلم ماذا يعمل، وهو يقطن بالدور الأرضي ...

أو الأول .... وأستاذ (عبد المنعم) مدرس لغة عربية فى الدور الثالث

الأستاذ (إبراهيم) المحامي فى الدور الثاني، وقد غادر البناية، وذهب إلى شقة بالمقطم، ثم عم (صفوت) صديق جدي رحمه الله فى الدور الرابع ومن ثم أنا فى الدور الخامس، والطابق الأخير فارغ!

شرد الرجل قليلاً ثم أضاف: - بالفعل لا أحد منهم يثير الريبة، كلهم ...مم.... لا يملكون إلا قوت يومهم صمت برهة ثم أضاف: - وهل طلب منك ذلك المجهول شيء آخر؟

- بالطبع..

- إذًا أكمل؟

- سأخبرك، لكن أعطني زجاجة المياه هذه أولاً..

وأشار إلى زجاجة مياه وضعت على شيء شبيه بالكومود، لكنه ليس كذلك بجانب الرجل! فالتقط الرجل زجاجة المياه، وناولها إلى (شريف). جرع (شريف) كوبين من الماء ثم مسح فيه بيمينه، وأضاف: - بعث لى مظروفًا آخر، وطلب فيه منى شيئًا آخر: ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

27

- وبالطبع فعلت ما طلبه منك؟

قالها الرجل وأضاف:

- لكن.. ماذا يقصد بكل هذا؟ أو .....

قاطعه (شريف) قائلاً:

- لم أكن أعلم وقتها، لكنني كنت - كما أخبرتك من قبل - مسيرًا، ولست مخيرًا.

لذا ذهبت..

ثلاثة أيام كنت أقف فيها أمام البناية أتناول المياه الغازية التي كنت أبتاعها من ذلك الكشك الذي أنتظر أمامه، ثم أعود إلى شقتي..

وفى اليوم الرابع كما أخبرني صعدت إلى البناية إلى الطابق الثالث.

وكنت قد أعددت كذبة أقولها للبواب أو لأي شخص يقابلني، فقط أنا شخص ضل الطريق.

- لكنه قال لك ألا تتحدث مع أحد..

قالها الرجل فى شغف، فأجابه (شريف): - لكنها الضرورة حينئذ.

وهكذا صعدت إلى الطابق الثالث وقرعت الباب الخاص بالشقة التي ذكرها لى فخرجت لى سيدة!

وقفت مشدوهًا لبرهة.. متذكرًا عبارته..

لكن سرعان ما أفقت..

كانت سيدة جريئة المظهر، وقفت تحدق فى، منتظرة ما أريد.

- أنا أبحث عن شخص يدعى (حسن).

قلتها، فأضافت:

- عذرًا لقد انتقلت إلى هنا حديثًا فلا أعرف أحدًا على الإطلاق.

قالتها فانصرفت بدوري من أمامها دون كلمة أخرى كالمجاذيب، وهبطت الدرج، بعد أن أغلقت هى الباب.

وأثناء هبوطي اصطدمت بشخص بدين حاول الإمساك بي من تلابيبي، لكنني تفلت منه..

- حاول إمساكك.. لماذا؟

قالها الرجل فأجابه (شريف):

- لا أعلم.. هذا هو ما حدث، دعني أقص عليك ما حدث فى تلك الليلة منذ بدايتها.

كنت قد قلت لك أننى فعلت ما طلب منى بالضبط، وبكل دقة، وذهبت وأخذت الأموال.. وعدت إلى شقتي.

ومر بقية اليوم طبيعي جدًّا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

28

فى المساء..

أعددت لنفسي وجبة لا بأس بها تصلح كعشاء..

وفى الحادية عشرة والنصف غلبني النعاس، فدلفت إلى الفراش، ونمت.

لم يوقظني إلا جرس الباب مع الكثير من الطرقات!

نهضت مذعورًا، وفتحت الباب، لأجد عم (صفوت) يقف خلفه، ويلهث، ويمسك بقلبه، ويتمتم ببضع كلمات لم أتبينها جيدًا

- «دمـ .... اا.... ء.. سقفي ...»

هدأت من روعه، ودعوته للدخول إلى شقتي كي يلتقط أنفاسه فدلف.. وجلس على أقرب مقعد قابله.

وجلست بدوري أمامه بعد أن أحضرت له كوبًا من الماء..

وبدأ يقص على ما حدث معه تفصيلاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

29

الله أكبر.. الله أكبر

ينهض الحاج (صفوت)، وبعين لا تكاد تريان ينظر إلى ساعة الحائط.. ليجدها الخامسة صباحًا.

آذان الفجر ...

أشهد أن لا إله إلا الله

يردد خلف المؤذن.. يسير فى تؤدة عبر الطرقة.

وتنقطع الكهرباء!

لا يمقت شيئًا أكثر مما هو فيه ... فهو لا يحب الظلام

يصطدم بألف شيء وشيء.. هنالك ضوء خافت جدًّا يأتي من النافذة المطلة على الشارع، لكنه يزيد من الرهبة فهو لا يحب الظلام أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تاااااااك!

تاااااااك!

ما هذا؟

سمع ما سمع، فتجمد الدم فى عروقه.. وتصلب فى مكانه ليجول ببصره حول المكان مستكشفًا مصدر الصوت!

أشهد أن محمدًا رسول الله

وبصوت مبحوح نادى على زوجته: (انشراح) ... هو أنت؟

«لا جواب سوى الصمت .... والظلام»!!

يشعر بظل يمر بسرعة من أمامه، تبدأ معاناته فى التنفس..

ضربات قلبه تتزايد، صدره يضيق..

من؟ أهو أنت يا (انشراح)؟!

أشهد أن محمدًا رسول الله

مرة أخرى يردد بصوت مبحوح: - من؟

.....

لا رد!!

مرة أخرى:

- «(انشراح) «.....» (انشراح)»

لا رد!!

الظلام دامس..

تمتد يده على الحائط نحو زر الإضاءة ... ويضغط!

لقد نسى ... أن الكهرباء منقطعة!

حى على الصلاة.. حى على الصلاة

هنا يرى الظل يقف متصلبًا!

ظل أقرب إلى.. ظل إنسان!

يتقدم بحذر، وقلبه يكاد يتوقف تمامًا.. نحو الظل.. ويدور حوله..

حى على الفلاح.. حى على الفلاح

لا شيء إنه ذلك العامود المسلح.. يتنفس الصعداء..

على الضوء القـادم من النافذة.. يدلف إلى الحمام، ويفتح صنبور المياه..

عندها يشعر ببعض قطرات الماء القادمة من السقف، قطرات غليظة!

تسقط على رأسه ووجهه!

يمسح وجهه بالماء.. ويبدأ فى الوضوء..

تستمر القطرات فى التساقط عليه..

وتعود الكهرباء..

يمسح وجهه بيده مرة أخرى، لكن هذه المرة تتسع عيناه أكثر.. عندما تتضح له الرؤى.. ويعلم أن القادم من السقف لم يكن ماء!!

بل هو من البداية دماء!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

30

ينظر الرجل إلى السقف، فيجده يقطر دمًا!!

الله أكبر.. الله أكبر

وقبل أن يفعل شيئًا آخر.. ينطلق خارجًا من الحمام.. ومن الشقة بأثرها.. بعد أن يصطدم بكل شيء، ويحطم الكثير متجهًا إلى الشقة التي تعلوه..

لا إله إلا الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا صعد عم (صفوت) إلى شقتي وطفق يحكى لى ما حدث.

نهضت من على المقعد «بعد أن غادر النوم جفوني تمامًا»، ورحت أقلب كلمات الرجل فى رأسي، ثم قلت: ـ إذا كان هنالك دماء بالفعل فى حمامك فلا بد أنها من عندي أنا ...

قاطعني الرجل مضيفًا:

من عندك؟

قالها عم (صفوت) فنهضنا، واتجهنا إلى الحمام كي نرى ما هنالك..

أضأت المصباح الخاص بالحمام وكانت الطامة الكبرى!!

أرضية الحمام غارقة عن آخرها فى الدماء الحمراء الطازجة!!

تراجعت قليلاً فصرخ الرجل مشيرًا بيديه على بقعة ما فى ركن السقف، بالتحديد فوق المرحاض، وأضاف: - ها هو مصدرها. هناك..

نظرت للسقف كي أرى تلك البقعة. فوجدتها كالنافورة!

وما زال ذلك السائل اللزج الثقيل يتدفق منها بغزارة، حتى صار الحمام نهرًا تجرى فيه الدماء.

وضعت يدي على الأرض لأتحسسه فوجدته دافئًا!

خرجت من الحمام ودقات قلبي تتسارع.. وأضفت: - هناك شيء ما فى الطابق العلوي.

قاطعني عم (صفوت) قائلاً:

- لقـد أخبرتك من قبل يا بنى، وقلت لك مرارًا إن تلك الشقة مسكونة ولم تصدقني.

نظرت له، فوجدته يرتعد، فأضفت:

- سوف أصعد كي أرى ما مصدر تلك الدماء!

اتسعت عينا الرجل، كأنني أمليت عليه مصيبة، وقال فى شيء من التوتر: - أرجوك يا بني ليس الآن، بل اصرف نظر عن الموضوع برمته، وتخلص منها، أما عنى فلا بأس من بعض الدماء، التي لن تضر.

- لكن.

- إن أردت أن تصعد.. اصعد وحدك، أما عنى فلن أفعل.

- لم أطلب منك أن تصحبني إليها، أما عنى فسوف أفعل.

قلت هذه الكلمات وأنا أعلم أننى لن أصعد بمفردي، وأن الرجل سوف يصعد معي.. ولو بدافع الفضول.. الفضول الذي قتل القط.

هكذا علمت أنه سيصعد، وعلمت أن نظرتي إلى تلك الشقة لم تعد كالسابق أبدًا، خاصة بعدما بدأت تصديق ما قاله عم صفوت، لكنني لم أتراجع عن موقفي أمامه، وخاصة أننى رجل علم.

وبالطبع كان ما خمنته صحيحًا..

فلم يتركني الرجل أصعد بمفردي.. وصعد معي، وليتنا ما صعدنا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

31

لماذا اخترت ذلك الوقت؟.. حتى نكون فى مأمن بعيدًا عن أعين الجيران..

نظرت للحاج (صفوت)، وسألته للمرة المائة: - هل أنت على ما يرام؟

- نعم.

- هل تعلم ما تفعله جيدًا؟

- نعم

- هل؟

- نعم

- هل؟

- نعم.

وهكذا بدأنا الصعود بعد أن أحضرت كشافًا لا بأس به، وكذا المفاتيح، وأحضر عم (صفوت) زجاجة عصير مثلج، لأجل أن السكر قد ارتفع لديه كأنه فى رحلة، وبدأنا فى الصعود..

سعل الرجل كثيرًا، وأمسك بقلبه بعد أن صعدنا بضع درجات، وقال لى بصوت مبحوح: - لقد ذكرني ذلك الموقف بجدك رحمه الله عندما صعدنا إلى تلك الشقة سويًّا.

لم ألتفت إليه، وهمهمت:

- رحمه الله..

وصلنا إلى باب الشقة، الذي امتلأ بخيوط العنكبوت.. وقد حال لونه فى كثير من المواضع..

أولجت المفتاح، وأدرته، ومن ثم دلفنا إلى الداخل..

أخرج عم (صفوت) الزجاجة ورشف منها قليلاً، ثم ناولني إياها فرشفت منها قليلاً بدوري..

أضأت المصباح الخاص بالصالة، وتقدمنا بضع خطوات..

«مجرد شقة عادية تمامًا.. أثاث بالٍ.. غبار فى كل مكان بالأطنان»

نظرت إلى عم (صفوت)، الذي أخذ يجول ببصره فى كل مكان تقريبًا، وأضفت: - أين هى الشياطين والعفاريت والجن؟

لم يجب، فقط أخذ يتقدم داخل الشقة.. متفقدًا المكان بحذر شديد..

ثم أضاف وهو يرتعد، ويشير إلى الأرض المكسوة بطبقة كثيفة من الغبار، زال بعضه فى الكثير من المواضع، بفعل آثار أقدام صغيرة، وكبيرة عارية كأنها لعائلة كانت تقطع الشقة جيئة وذهابًا حفاة: - انظر؟!!!

قالها فارتعدت.. إن هؤلاء لهم وجودًا ماديًّا ...

قاطعني الحاج (صفوت):

- يا بنى من الحمق أن نظل هنا.. ربما أزعجناهم الآن، وربما مسونا بسوء!

نظرت إليه وتساءلت:

- من هم اللذين سيمسوننا بسوء؟

ارتعد أكثر، وأضاف:

- أصحاب الشقة.. عمار المكان.

نظرت إليه، وأنا أصرخ:

- أنا صاحب الشقة.. ليس هناك مالك لها غيرى، وإن كان فليظهر لى الآن.. أو ليختفي إلى الأبد.

هكذا قلتها فانقطعت الكهرباء مرة أخرى!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمسك بي عم (صفوت)، وأخذ يرتعد فرقًا، ثم أضاف: - هيا بنا يا بنى، كفى ما حدث، ولنعد من حيث جئنا.

أضأت الكشاف الذي أحضرته معي، ووجهته إلى الأمام، وأخذت فى التقدم ضاربًا بحديثه عرض الحائط.

ثم نظرت إليه وأضفت مطمئنًا: - ليس هناك داع لكل ذلك القلق يا عم (صفوت) أنت واهم فحسب صدقني.

قلتها بعد أن وصلت إلى الحمام، ثم تصلبت فى مكاني.. من هول ما رأيت!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

32

إنه عــز ..... زززز ..... تتتت!!

قالها عم (صفوت)، بعد أن تقدم ليقف إلى جواري، وبعدها صمت!!

القتيل؟!

قلتها لكنه لم يجب.. لأنه كان قد قبض بيده على صدره، وأخذ يتنفس بصعوبة بالغة.

ورأيت مشهدًا لم ولن أنساه ما حييت.. أنه الهول ذاته!

كاد قلبي يثب من بين ضلوعي، لكنني تسمرت، ووقفت أرقب ما يحدث رغمًا عنى..

«كان تجسدًا كاملاً.. أو كما يطلقون عليه تجسد (أكتوبلازمي) ([1]).. لكهل فى الستين من عمره تقريبًا.. نحيل.. يملأ وجهه التجاعيد..

يجلس على أرضيه الحمام، وينظر إلى الخارج «تجاهي»، لكنه لا يراني.. «هذا ما استنتجته بعد ذلك..»

ينهض، ويدلف خارج الحمام، دون أن يصطدم بي، كأنه طيف!!

ثم يتجه إلى النوافذ ليغلقها جميعًا، ثم يوقد بعض الشموع ... ويفتح أحد الأدراج، ثم يمد يده، ويتناول كتابًا أصفر مهترئًا، ولفافة من القماش وبعض الورق أحمر اللون ومقصًّا.. ثم يجر طشتًا من النحاس ويأخذ هذا كله، ويدلف إلى الحمام مرة أخرى!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يجلس على الأرض، ويداه ترتعدان.. يرتب أفكاره جيدًا.. يفند الورق أمامه البخور.. الكثير من البخور، والكثير من الدخان، ثم يبدأ فى ملء الطشت بالماء من الصنبور، ويبدأ فى تقطيع الورق على صفة شخص، ثم أخذ يكتب بعض النقوش والعزائم على تلك الورقة المقصوصة وهو يتلو بعض العزائم الموجودة فى الورق، بصوت لم أتبينه جيدًا: «طقطلقا هول.. شلاخيم.. بشلاش.. طشقام بلاخ!!

ثم يصمت، ويكمل:

- أقسمت عليك يامبطترون يا مالك الأشباح أن تأمر عوعئيل لم أسمع ذلك الجزء جيدًا..

ثم أضاف:

أن يجلبوه ويجبروه على طاعتي وحدي.. أين الأبالسة ... أين الوساوسة؟!

«صوت طقطقة»!!

ما هذا الهراء؟

قلتها فى نفسي، وأنا لا أزال أرمقه..

ثم يكمل قراءة الورق، لكن هذه المرة بصوت عالٍ!

بحق ما تلوته عليكم هيا الساعة.. هيا الساعة..

قال هذه الأخيرة بعد أن أمسك بقطعة قماش قذرة المنظر، تناثر عليها بعض من البقع الحمراء.. بدا أنها دماء.. ثم تناول من جانبه ريشة وأخذ يخط بها أشكالًا غريبة مضيفًا إياها إلى التابلوه المرسوم من قبل على تلك القطعة!!

ثم أمسك بها بكلتا يديه من طرفيها، ومزقها إلى نصفين!!

ما الذي يفعله ذلك المعتوه؟.. ما ذلك الخبال؟

فى هذه اللحظة سرت القشعريرة فى جسدي بالكامل..

بعد أن ارتعد جسد الرجل، وارتجفت أوصاله كلها.. حين رأى أمامه، كأن ذرات من الغبار المتناثرة فى الهواء تجتمع مع بعضها البعض، ليبدأ تجسد شيء ما شيء ما ضخم!

حاول أن ينهض، لكنه لم يستطع.. فقدماه لم تعد قادرة على حمله..

يتراجع إلى الوراء، وهو على ذات جلسته..

«الآن يكتمل الشئ تمامًا أمامه»!!

وكأن ذلك الشئ قد أتى من الأزمان الغابرة!!

صوب نظرة على الرجل الجالس على الأرض، معاتبًا، ومنذرًا بالويل.

سلام قولًا من رب رحيم.. «هيييييئئئ»!!

بالطبع هذه الأخيرة لم تصدر إلا من عم (صفوت)..

فعلها ثم تهاوى على الأرض بلا حراك!

لم أستطع عمل شيء، فقدماي لم تعد تحملاني تقريبًا.. نظرت إلى عم (صفوت)، ثم إلى الشئ الذي أخذ يتقدم ناحية الرجل وناحيتي!!

عندها رأيت الرجل قد جثا على ركبتيه، وأخذ وضع التوسل، وأخذ يردد: لم أكن أقصد.. أنا أعلم أننى نقضت العهد، لكن.

نظر له الشئ، وقاطعه بصوت غريب:

ما الذي كنت تود فعله؟ هل كنت تحاول استدعاء أحدٍ غيرى ليصدك عنى؟

لا لم..

بل فعلت.. لقد أنذرتك منذ البداية، لقد قلت لك ألا تنقض العهد وإلا..

قالها الشئ مقاطعًا الكهل، الذي لم يجد مناصًا من أن يفر على ركبتيه ويديه، وهو يحبو على الأرض خارجًا من الحمام.. نحيت نفسي جانبًا كي يمر..

نظرت داخل الحمام فلم أجد الشئ..

لأنه كان قد مر خلالي دون أن أراه، ليتبع الرجل!

«مشية واثقة لا تمت لعالمنا بصلة»

نظرت تجاه الحاج (عزت) فوجدته يبحث عن طريقة ما للفرار، لكن أين؟

فالشقة كلها لا يصلح فيها الاختباء..

عندها رأى الضوء الخافت القادم من النافذة.. خافت لكنه شاهده.

يزيد من خطواته حتى يصل إليها ثم يفتحها، وينظر من خلالها.. يدير ظهره إليها، ليلقى نظرة عابرة داخل الشقة بحثًا عن الشئ، فلم يجده.. يتنفس الصعداء

عندئذ يراه.. يتقدم ناحيته..

يتنهد فى استسلام.. لابد أن يحسم الأمر..

يمد يده اليمنى ثم اليسرى.. و ....

«ذلك المخبول سوف يلقى بنفسه من النافذة»!

لكن ذلك الشئ لم يعطه الفرصة للفرار، فقبل أن يتخذ أية قرارات كانت رأسه تطير، لتستقر فى ركن الغرفة!

ثم نظر الشئ تجاهي، وأضاف بذات الصوت الغريب، كأنه جاء من سقر: أنت التالي!

نظرت خلفي كي أرى لمن يتحدث فلم أجد أحدًا فعدت بنظري إليه، لكنه كان قد تلاشى!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

33

تلاشى وتلاشى كل شيء تمامًا، وعاد الصمت ليعم المكان!!

لا أعلم من أين أتيت بتلك القدرة على الانتظار ومشاهدة ما حدث كنت أترنح، لكنني فعلت، وعندما أفقت، لم أنتظر أكثر من ذلك.. حاولت فى سرعة إفاقة عم (صفوت)، لكنه لم يتحرك قط.. اعتقدت أن قلبه لم يتحمل ما رآه..

- يا له من مأزق..

قالها الرجل، ثم أضاف:

- وماذا فعلت؟ بالطبع خشيت أن تتهم فى قتله، أو ... شيء من هذا القبيل.

نظر إليه شرف، بعد أن طقطق أصابعه، وأخذ يكمل: ـ كل ما فكرت فيـه هـو.. أننى كيف سأقص على الجيران وعلى زوجته ما حدث؟ ... كيف سأحكى لهم أن هنالك (عزت)، الذي مات منذ زمن؟ وأن هنالك دماء قادمة من الشقة؟.. بالله عليك كيف سيصدقونني؟

قالها ثم زفر فى الهواء، وأخذ يكمل:

- لذا أخذت بعضي وهرولت إلى الخارج ... أخذت أقفز على الدرج.. إلى أن وصلت خارج المنزل بالكامل..

ومن ثم أخذت سيارتي، وأخذت أنهب شوارع المدينة نهبًا، وأنا لا أعلم إلى أين.. كل ما وددت فعله هو الابتعاد عن ذلك المنزل فحسب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

34

وهكذا خرجت لا أعلم أين أذهـب.. ظللت أجـوب الشوارع بسيارتي لساعات..

ثم عدت المنزل.. متوقعًا الأسوأ، لكنني لم أجد شيئًا!

الوضع هادئ تمامًا..

صعدت ببطء على الدرج.. ووقفت أمام شقة عم (صفوت).. أصخت السمع..

فلم أسمع صراخًا.. ولا.. ثم انفتح الباب.. ليطل منه وجه عم (صفوت)!!

- كيف؟!

قالها الرجل لشريف، فأضاف، دعني أكمل فحسب: - كدت أموت هلعًا بكل تأكيد، لكن الرجل اعتصرني، وأخذ يصرخ فى وجهي قائلاً: - أين كنت.. لقد بحثت عنك كثيرًا فلم أجدك.. وبالطبع لم أحرك أنا ساكنًا فقط وقفت مشدوهًا.. صامتًا.. لم أدر بما سأجيب.. خاصة وأنني تركته مكومًا على الأرض بلا حراك داخل الشقة، وهرولت خارجًا منها بلا مبالاة..

كدت أخبره بأنني قد فحصته، وحسبته مات، لكنني عدلت عن ذلك..

- لقد تركتني، وفررت وحدك.

قالها ثم أضاف:

- لكن حمدًا لله، أنه ستر.

- لا تؤاخذني يا عم (صفوت).. فالموقف كان صعبًا للغاية، وحمدًا لله على سلامتك، على كل حال ...

- أعلم.. أعلم، سوف أتركك الآن، لصلاة العشاء، وسوف أمر عليك بعدها كي نتحدث سويًا.

- بخصوص ....

- بخصوص الشقة!

قالها ثم تركني وهبط الدرج.. فصعدت أنا إلى شقتي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

35

وكأنما كان بانتظاري ...

ما إن وصلت إلى باب شقتي.. حتى وجدت الظرف إياه، ومن ثم الرسالة الرابعة.. وقد حوت الآتي: ￼

قال (شريف) ما قال ثم نظر إلى الرجل، وأضاف: - أصارحك القول..

- هاه..

- لقد تملكني الفضول..

- لك كل الحق..

- ثم إننى شعرت بالريبة مما يحدث.. وشعرت أيضًا أنها فرصة، كي أعلم ما الذي يدور.. هل أوحلت نفسي فى شيء ما؟ أم أننى مجرد رسول فحسب، وأتقاضى مقابل ذلك مالاً..

أم أن هناك شيئًا آخر ربما علمته إن استخدمت تلك الشريحة.

التي طلب منى أن أبعثها إلى تلك السيدة..

ابتسم الرجل فى خبث، وأضاف:

- وبالطبع فتحت الشريحة؟

- بالفعل هذا ما حدث..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- فتحتها، بعد أن أوصلتها بالحاسب الآلي.. لكنها لم تحو سوى بعض الصور لعاشقين.. فى أوضاع مختلفة..

أما ما لفت انتباهي هو أن العاشق واحد فقط، أما المعشوقة فهي مختلفة مع كل صورة!

- إذًا هذا فحسب.. مجرد صور..

- نعم..

قالها الرجل فأجابه (شريف) بهذه الأخيرة، ثم أضاف: - وبالتالي لم يعد هنالك ما تخشاه من تلك الرسائل..

- نعم.. لذا فعلت ما طلبه منى مرة أخرى..

- وبالطبع ذهبت، وأخذت الأموال..

- صحيح.. لكن هنالك شيئًا ما لم أقصه عليك بعد..

- ما هو؟

- عم (صفوت)..

- صحيح.. هل عاد إليك؟

- نعم أدى فريضة العشاء، وجلس معي ليتحدث بصدد ما حدث داخل الشقة بعد أن أعددت له الشاي الذي أخذ يرشف منه فى تلذذ..

قصصت له ما حدث وما لم يره هو من تجسد وغير ذلك، حتى فررت أنا إلى خارج المنزل بأكمله.

بعد أن انتهيت، رشف رشفة من قدحه، ثم أضاف: - يا ولدى أنا أعرف رجلاً يفهم فى مثل تلك الأمور يدعى الشيخ قلة.

شروووووووف

- وقبل أي شيء.. لا بد أن تتخلص من تلك الشقة وتؤجرها للرجل.

شروووووووف

رشف مرة أخرى، فى تلذذ، ثم أضاف بعد أن فكر لبرهة: لا أعرف ما أقول لك.. لربما ذلك الشئ هو من يفعل ذلك بتلك الشقة، حتى تتركها له.. فربما كانت الشقة بالنسبة إليه مأوى، وليس له سواها..

- ماذا تقصد؟

قلتها وأضفت:

- ما أقصده أن ذلك الكائن الذي أتى به (عزت) هذا إلى الشقة، اعتبرها مسكنه الوحيد الذي جاء من عالمه إليه، فليس له سواه.

قال (صفوت) ما قال، ثم أضاف:

- لا أدرى.. حقًّا لا أدرى.. ربما قلة هو الحل.

عندئذ كان (صفوت) قد فرغ من قدحه، نهض شاكرًا، واتجه إلى الباب، مضيفًا: لا بد من التخلص من تلك الشقة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

36

تنهد الرجل، وقد بدأ يفكر مع (شريف)، ثم أضاف بعد أن صرخ فى أحد السجناء كي يسرع في إعداد الطعام: - استمع إلى يا دكتور، أعلم أننى لست خير من يجيبك، لكنى أشعر أن كل ما حدث لك أو لجدك رحمه الله، له علاقة بذلك الرجل الغريب الذي أراد الشقة منذ البداية..

حك (شريف) رأسه، بعد أن كاد يقول له أنه لا يحتاج إلى توصية، لكنه صمت اتقاء شره، ثم أضاف بعد أن كتم خواطره تلك: - وأنا أيضًا أشعر بذلك..

عبث الرجل فى أذنيه، ثم أضاف:

- ألم أقل لك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأخيرًا أتت الرسالة الأخيرة، وكان يطلب منى فيها أن أوصل خريطة ما بذات الطرق السابقة لعنوان ما، فقط صورة ضوئية منها، واحتفظ بالأخرى حتى يخبرني ما سأفعله بها..

وأن أذهب بعد ذلك إلى المكان المتفق عليه لأجد المقابل.

وفعلت ما أملاه على كاملاً..

وعدت إلى شقتي لأجد مفكرة سميكة نوعًا تنتظرني على المائدة من أين أتت، ومن أتى بها إلى هنا؟! لا أعلم.. فقط أمسكت بها، وبدأت أقرأ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صابر السمنودي

لا يعلم متى تسللت فكرة الانتحار إلى رأسه؟

الجميع خائن.. الكل أصبح يمقته.. زوجته.. حتى زوجته..

هكذا رأى بنفسه الحبوب فى الجزء الخاص بها فى حافظة الثياب.. فى البداية حسب أنها دواء ما، لكنه ارتاب فى الأمر لأنها تخبئها..

فإن كان ذلك دواءً فعلاً فلمَ تداريه؟

هكذا قرر، ودلف إلى حجرتها، وبحث حتى وجدها..

دخلت عليه، فدسه فى جيوبه، وابتسم.. انتظر حتى سنحت له الفرصة، وذهب إلى الصيدلية، وسأل الصيدلي، الذي أجابه قائلًا: سيليست..

إيه؟

أقراص لمنع الحمل!

عندها علم السبب الذي جعله لم ينجب حتى هذه اللحظة.. لقد حسب أنه عاقر، لقد حسبها تحبه، لكنها خدعته..

كم أطلقت السباب عليه، وتحملها، ناهيك عن المعيرة.. من قلة الراتب، الذي يتقاضاه.. ثم طلباتها التي لا تنفذ.. فقرر أن يتخذ من الديون وسيلة، فلم يجد أمامه سوى ((شوقي) عبد المولى) صديقه فى مصنع الثلج..

هو من وثق به.. هو أقرب الأشخاص إليه.. أعزب فلا يحتاج إلى الكثير من الأموال..

هكذا قال، وهكذا تكدست عليه الديون..

أما متى فكر فى الانتحار؟

فعندما طالبه (شوقي) بالسداد..

أمهله مرارًا، لكنه لم يسدد..

طالبه مرارًا، لكنه لم يسدد..

تذكر حوارهما معًا فى المصنع ...

- أنا عاوز أتجوز يا بنى آدم.. علشان كده عاوز الفلوس دى.. أنا صبرت عليك كتيييير.. وانت معندكش دم..

- مأنا قلت لك ممعاييش..

- لحـد إمتى؟.. بقالك تسع شهور عمال تقولي لما ربنا يأذن.. هتسدد إمتى؟

لما ربنا يأذن..

- إنت طول ما أنت متجوز البرنسيسة دى، وعمال تجيبلها اللي هى عاوزاه، مانتش هتنفع، وهتفضل مديون على طول.. اعمل لنفسك شخصية بقى.. بدل ما هى راكباك ومدلدلة..

اخرس يا بن ال «.....»

- إنت مش هاتيجى غير لما نعملوا معاك خناقة، ونموِّتوك فيها!

تموِّتنى؟!..

وهكذا أمسكوا بتلابيب بعضهم البعض، فى وسط المصنع، ووسط الجميع ...

التف الجميع حولهما، وأخـذوا يهدئونهما.. وسط الكثير من السباب العنيف..

يتذكر هو كل هذا.. فيومئ برأسه إلى الأمام، ثم يطلق سبة بذيئة، ويضيف: خونة!

ثم يتذكر زوجته هى الأخرى التي تركت له المنزل، وغادرت إلى حيث لا يدري.. ثم: خونة..

عندها قرر الانتحار!!

سوف ينتحر، لكنه لن يموت هكذا!

سوف يظهر أن هنالك من قتله!

سوف يورط بها أحدهم!

لكن كيف؟!، ثم ما هى الأداة؟!

مسدس.. من أين له به، أو بثمنه.. حتى ولو أحضره، فكيف سيظهر أن هنالك من قتله؟

فمن الذي سوف يمحو له بصماته عندما يموت.. ويبدلها بأخرى؟!

سكين.. لا يريد أن يموت هكذا.. لا يريد أن يطعن نفسه أو يذبحها، فسوف يتعذب كثيرًا بهذه الميتة.. ثم فمثلها مثل المسدس..

يظل يفكر ويفكر.. مقلبًا رأسه يمينًا ويسارًا.. ثم صرخ قائلاً: وجدتها وجدتها..

هكذا صرخ فى قهوة بندق..

نادى على الصبي، ثم ناوله بضعة جنيهات، ثمن الحجر الذي حرق به صدره منذ قليل، وانصرف..

«سوف يشنق نفسه، لكن ليس كأي شنق».

لن يستعمل مقعدًا أو منضدة أو ... حتى يصعد إلى الحبل.. وإلا فلن تظهر إلا انتحارًا.. وهو لا يريد ذلك..

لذا سيستعين ببعض ألواح الثلج!!

نضجت الفكرة فى رأسه، وبدا فى تنفيذها..

أحضر بعض الألواح، ووضعها فى الصالة.. بالتحديد أمام النافذة!

نظر إلى السقف.. بالتحديد إلى الحبل الذي يتدلى منه «لقد ربطه بإحكام»..

لم يفته أن يفتح النافذة كي يسمح لأشعة الشمس بالدخول، حتى تذيب الثلج!، وبعدها يتبخر الماء.. ومن ثم يزول أثره تمامًا..

سوف تفكر الشرطة فى كيفية صعوده إلى الحبل.. سوف يبحثون ولن يتوصلوا إلى شيء..

عندها ستبحث الشرطة عن الفاعل.. عن القاتل الذي شنقه!

سوف يموت، لكنه سوف يترك لهؤلاء الخونة تذكارًا بسيطًا..

يصعد على الألواح بخفة..

خونة..

يضع الحبل حول عنقه..

خونة..

لو وجهت التهمة إلى زوجته.. فهذا جيد..

ولو وجهت إلى صديقه (شوقي).. فهذا جميل.

يستقر على الألواح، وحول رقبته الحبل.. ثم يزيح برفق الألواح من تحت قدميه، وهو يقلب هذا كله فى رأسه.. ثم يبتسم للمرة الأخيرة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- «ما هذا العقل؟..... لقد مات صابر السمنودي..»!!

قالها (شريف) محدِّثًا بها نفسه، ثم أضاف محدِّثًا نفسه مرة أخرى: - «وبالطبع أنا من أمد الشرطة ببطاقة الـ (شوقي) هذا.. عندما أرسلت بها من تحت

الباب الخاص بشقة (صفوت).. وبالطبع أحكمت الأدلة ضد (شوقي).. ومن الممكن أن يحكم عليه بالإعدام، لأنها مع سبق الإصرار..

لقد غمس يدي فى جريمة قتل.. لكن لمَ؟

وكيف دبر كل هذا؟!.. بل السؤال الأهم.. من هذا؟»

بالطبع لم يجد (شريف) إجابة واحدة لأسئلته، فأخذ يكمل قراءة الأوراق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رأفت

- «على الرغم من كل صفات (رأفت)، التي تفضلها أية فتاة، إلا أنه يمتلك أسوأ صفة لا تفضلها أية فتاة.. ألا وهي «الغيرة».. صحيح أن تلك الصفة فى كثير من الرجال ذوي الطابع الشرقي، لكن ليس على تلك الشاكلة التي عليها رأفت، «فكل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده»..

وصحيح أيضًا أن كثيـرًا من الفتيات يروق لهن تلك الصفة، لكن إن ضاق بهن الخناق.. طلبوا الطلاق..

صدقيني لن تطيقي معاشرة ذلك الرجل..

سأجرب.. فالرجال قليلون هذه الأيام..

ليست حياتك حقلاً للتجربة، ثم إن نصيبك سـوف يأتيك حتمًا.. فأنت تعلمين أننا فى بلدنا، لا نملك ثقافة التعامل مع المرأة المطلقة.. ثم إنه يكبرك بعشرة أعوام..

ليكن!!.. سوف أتزوجه..

هكذا نصحوها، وهكذا أبت النصيحة، وهكذا تزوجوا.. وهكذا بدأت المشاكل والخلافات تنهمر على رأسها كالمطر.. وبالطبع لم تشكُ حالها إلى أحد، لأنها من اختار، لذا قررت أن تصلح من حاله، وهكذا لم تتوانَ فى نصحه، لكنه كما هو..

كم من مرات قال لها إنه سوف يتغير، إلا أن كلامه يذهب أدراج الرياح..

متى حدث كل شيء؟

منذ لمح ذلك الشاب.. يقف أمام كشك طيبة الذي يقبع أمام العمارة التي يقطن بها.. ويرمقها بعينين زائغتين، ينظر إلى أسفل ثم أعلى..

ود لو ذهب إليه وسأله ما الذي أتى به إلى هنا، ولماذا يرمق العمارة هكذا.. لكن ما شأنه هو؟!!

وهكذا مضى فى طريقه، ونسى كل شيء..

فى صباح اليوم التالي..

هبط الدرج ذاهبًا إلى عمله فى الشركة كعادته، فرآه يقف أمام العمارة على ذات الشاكلة، ويتناول زجاجة من المياه الغازية..

دقق النظر إليه، لكنه لم يتخذ قرارا، فذهب إلى عمله..

صحيح أن ما يفعله ذلك الرجل عاديّ، لا يثير الريبة، لكنه ارتاب فيه.. لا يعلم لمَ.. ولا يعلم لمَ شغل حيزًا كبيرًا فى رأسه.

فى اليوم الثالث..

هبط الدرج، وهو ينتظر رؤياه ويتوقعه، وبالفعل وجده يقف ينتظر..

من هنا.. بدأت الشكوك تحتشد فى رأسه.. صحيح أنه لا يقطن فى هذه العمارة وحده، لكنه، وحده من تزوج بفتاة تصغره بعشرة أعوام..

أراد أن يعود أدراجه إلى المنزل، لكنه عدل عن رأيه..

ومر اليوم فى عمله كئيب مقيت، تعصب على الجميع اختلق الشجار مع الجميع، وبعدها انصرف..

عاد إلى زوجته، وسألها مائة سؤال، وبالطبع هى لم تدرِ بأي شيء تجيب، لأنها لا تعلم ما الذي يتحدث هو عنه..

فقرر أن ينهى الحوار معها، بعد أن دبر ما عليه فعله..

فى اليوم التالي..

هبط الدرج، متظاهرًا بالذهاب إلى عمله، لكنه لن يفعل، فما سيفعله هو التظاهر فحسب.. أما ما سيفعله هو مراقبة ذلك الغريب..

خرج إلى الطريق.. حيث هواء الصباح، رمقه من على بعد، وشق طريقه مبتعدًا عنه وعن العمارة..

وخلف سيارة ما توارى، يراقب الغريب، ويستمع إلى ضربات قلبه..

لم يمر سوى دقائق، ثم بدا الغريب فى التحرك إلى داخل العمارة، ومعه تحرك قلبه الذي كاد أن يثب من بين ضلوعه.

خرج من خلف السيارة وتحرك ناحية العمارة فى سرعة.. وصلت إلى الركض.. إلى أن وصل إلى داخل العمارة، ومن ثم بدأ ينهب الدرج نهبًا رغم امتلاء جسده، وترهله.. ينظر إلى أعلى حيث الغريب الذي بدا فى هبوط الدرج، ثم.. «تررررااااك» ... سمع صوت باب شقته ينغلق!!!

لـقــد كـــان فـــى شقته، لقد كان فى أحضـان زوجته بكل تأكيد، لقد ... «أن جسده كله يكاد أن يحترق من الداخل».. لقد كانت شكوكه فى محلها.. لا بد أن يتخذ قرارًا، لابد أن يدافع عن شرفه.. لابد أن .....

هكذا دار كل ذلك فى رأسه، وهكذا اصطدم بالغريب، حاول الإمساك به أو اللحاق به، لكنه فر واثبًا من بين يديه ومن ثم فر مبتعدًا..

أكمل صعوده إلى أن وصل إلى شقته وأخذت كلتا يديه تطرقان الباب وتضغطان على جرسه، إلى أن فتحته زوجته، ودون كلمة واحدة انقض على عنقها، وأمسكها، وبدأ فى اعتصارها بإصبعيه بعنف، حتى سمع صوت الطرقعة، التي أعلنت عن فراقها للحياة..

وهكذا تركها لتسقط من بين يديه إلى الأرض، ثم بدأ جسده فى الانتفاض..

وبعدها جثا على ركبتيه وأخذ فى النياح..

فى تلك اللحظة، كان بعض من القاطنين يهبط الدرج فرأى ذلك المشهد، ومن ثم لم يتوانَ فى إجراء مكالمة هاتفية من هاتفه إلى الشرطة، التي جاءت، وسط كم لا بأس به من المشاهدين.. وهو يضحك فى هيستيريا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تنهد (شريف) بعد أن تصبب عرقًا، وأمسك بكوب من المياه المثلجة، وجرعه فى مرارة، وأخذ يكمل .....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سـارة نبيـل الخـولـي

أنت لا تعلم من هى (سارة نبيل الخولي)، لذا أعرفك بها.. إنها فتاة من صعيد مصر، لكنها تقطن فى القاهرة، طبائعها لم تتبدل كثيرًا.. هى.. هى..

كأنها تحيا هنالك..

فهي لم تنفصل عن الصعيد.. فكل مناسبة تجدها وأهلها هناك..

تعمل فى إحدى شركات الكمبيوتر التي أتت بها لها صديقتها نشوى، فهي تعمل هناك وبمجرد أن انصرف موظف وترك مكانه فى الشركة، أخبرت صاحب العمل أن لديها البديل، وبالطبع كان البديل هو (سارة).. صحيح أن والدها اعترض كثيرًا على ذلك العمل أو على عملها أصلاً، لكنه وافق بعد كثير من الضغوطات سواء منها أو من والدتها، التي ظلت تخبره أنها.. أقصد (سارة).. قد فاتها قطار العمر وكذلك قطار الزواج، وأنها لابد أن تعمل وتخرج كي يراها الناس، ويأتي إليها ابن الحلال.. هكذا قالت وهكذا وافق..

ذهبت إلى العمل وهنالك وجدت (خيري).. منذ النظرة الأولى واللحظة الأولى قالت إنه ابن الحلال.. هو.. نعم إنه هو.. أخبرت صديقتها نشوى كي تخبرها عنه فقالت إنه باختصار (لا بأس به.. ثم إنها لا تعلم عنه الكثير).. هذا ما أعلمه عنه، ثم لديه شقة، أعزب لا يوجد له أب ولا أم.. لا أعلم عنه الكثير!

إذًا فهو.. هو..

تذكر أول نظرة نظرها إليها، وابتسم..

وقتها شعرت بأن الدماء قد فرت من جسدها بالكامل وتجمعت فى خديها..

- أهلاً بك فى الشركة..

- .....

- اسمك؟

- بتردد ... سارة..

- جميل.. أنا أعشق ذلك الاسم..

- أنا صديقك فى الشركة اسمي هو.

- خيري..

لا تعلم كيف انسلت الكلمة من فيها، فسرعان ما انتبهت، وتركته، وانصرفت..

عندها علم أنه.. قد دخل إلى قلبها.. وعلم أنها مهتمة به .....

وهكذا نصب شباكه، وبدأ فى تنفيذ الجملة الأزلية .....

(نظرة فابتسامة فكلمة فموعد فلقاء فذهاب إلى شقته) هذا هو عش الزوجية..

ثم دار ما دار بينهم..

ووعدها بالزواج ثم بدا فى التملص، حتى الاتصالات قد قطعت تمامًا بينهما.. ثم اختفى من الشركة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع كانت كالمجنونة.. تتساءل عنه هنا وهناك، لكن لا شيء.. لا أحد يعرف عنه شيئًا..

باختصار (فص ملح وذاب)..

لم تجد سوى نشوى صديقتها.. لتقص عليها ما حدث بينهم.. وبالطبع لم تملك نشوى سوى الصمت والذهول، كأن على رأسها الطير..

ثم..

قالتها متسائلة، فنظرت إليها والدموع تنهمر من عينيها وأضافت: لا شيء؟..

ماذا؟

لا شيء.. اختفى..

هل ذهبتِ إليه فى شقته؟

لا

لماذا؟

لأن .....

سنذهب له سويًّا..

هكذا قاطعتها، وهكذا كان قرارها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست على مكتبها ترتب ما الذي ستقوله له.. وكيف ستجبره على الزواج منها..

فى هذه اللحظة جاءها عم (عدلي) الساعي ليقول لها إن هنالك من يريدها بالخارج..

تساءلت فأجاب أنه طفل ما لا يعرفه، وأنه يريدها وينتظرها..

قدرت أنه من طرف (خيري)، فنهضت واتجهت إلى الخارج لتقابله..

بالخارج وجدت طفلًا لم يتعد الحادية عشرة من عمره قد وقف يحك فى رأسه ويحاول محاولة بائسة فى رفع بنطاله..

اقتربت منه ثم جلست القرفصاء وأضافت: من أنت؟ هل بعثك (خيري)؟

قالتها، وانتظرت الرد، الذي لم يأتِ.. فقط نظر لها الطفل فى بلاهة، ثم وضع فى يدها كارت ميموري، ثم فر مبتعدًا!

نظرت له وهو يبتعد ثم نهضت آخذة الكارت إلى مكتبها..

ألقت نظرة على الجميع، الكل ملهى فى عمله..

أوصلت الكارت بالحاسب.. لترى الآتي: (خيري) وبين أحضانه فتاة.. إنها هى.. تبتسم.. ثم تضغط لتقلب الصور، فترى ذات المشهد، لكنه مع فتـاة أخـرى غيرها، تشعر بأن قدميها لم تعد قادرة على حملها، لكنها تضغط لتقلب، فإذا بأخرى ثم أخرى ثم أخرى ...

لم تستطع أن تتمالك نفسها، فبدأت فى البكاء..

التقطت الكارت ثم ذهبت إلى الحمام، ألقته به فى المرحاض ومن ثم جذبت الذراع لينهمر الماء ومعه الكارت..

تنظر فى المرآة، وكأنها تشاهد ما حدث معها، تستعيد كل ما سمعت من كلام، لقد كان كاذبًا.. لقد خدعها، وبكل تأكيد خدع مثلها الكثير..

تمسح الدموع وتعود إلى مكانها فى مكتبها، تلتقط الهاتف الخلوي، وتطلبه.. لتذهب إليه فى شقته، لكنه لا يرد كالعادة، فتحت الدرج الخاص بها وعبثت بداخله فلم تجد شيئًا، نهضت، واتجهت إلى (الكانتين) حيث عم (عدلي)، الذي لم يكن متواجدًا هناك، تسللت إلى الداخل، واخذت تعبث هنا وهناك بحثًا عن أي شيء يصلح لما تود فعله.. تفتح الأدراج كلها فى سرعة، ثم تغلقها ثم.. وقعت عينيها على ذلك السكين، التقطته، فى خفه، ودسته بين طيات ملابسها ثم دلفت الخارج..

عادت إلى مكتبها وهي تبتسم، تفكر فيما سوف تفعله ثم تبتسم..

أخرجت السكين من ملابسها دون أن يراها أحد، ثم وضعته فى حقيبتها، وأغلقتها ثم نهضت منصرفة..

على باب الشركة شعرت بأن هناك من يمسك بها من كتفها ويضيف: إلى أين؟

استدارت بعد أن وثبت مترين فى الهواء، وأطلقت صرخة لا بأس بها..

لتجد نشوى..

ماذا هنالك؟ إلى أين؟

هناك ...

الشقة؟

نعم ... لا.. لا..

آه والَّا.. لا

لا.. لا.. ذاهبة إلىَّ.. لدىَّ مشوار خاص..

قالتها ثم انصرفت من أمامها وانصرفت من الشركة تمامًا..

أشارت إلى سيارة أجرة، فتوقف السائق،

العمرانية.

اركبي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذت السيارة تنهب شوارع القاهرة باحثة عن العمرانية.. وفى رأسها مائة سيناريو يدور.. إلى أن..

حمدًا لله على السلامة يا هانم..

انتبهت لكلام السائق، وإلى السيارة التي توقفت..

عبثت فى حقيبتها باحثة عن بعض الأوراق المالية ثم ناولته الأجرة، ودلفت إلى الخارج، راكضة نحو العمارة التي بها شقته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذت تثب على الدرج صاعدة إلى الشقة، توقفت أمامها فتحت حقيبتها، لتتأكد من وجود السكين بداخلها كما وضعتها، ثم مسحت دموعها وأخذت تطرق الباب منتظرة أن يفتحه..

سمعت صوته يأتي من الداخل، ارتعدت أوصالها بالكامل، عندما انفتح الباب وظهر أمامها، ارتبك هو قليلاً ثم التقطها بين أحضانه من دون مقدمات ثم قبَّلها على خدها، فى هذه اللحظات كانت هى قد أخرجت السكين، ومن ثم ودون تردد غمسته فى بطنه، لم تشفع له نظراته المتسائلة.. فقط أخرجته ثم غمسته مرة أخرى، ثم أخرى، وبدأت تنهال عليه طعنًا!

وأخذت الدموع تنهمر من عينيها ...

ثم توقفت للحظة عادت فيها إلى صوابها، لترى (خيري) الذي أحبته، وحلمت به زوج المستقبل ملقًى على الأرض بلا حراك وسط بقعة كبيرة من الدماء، التي أخذت تتسع من حوله..

ألقت السكين من يديها، وبدت كالمجنونة، ما الذي فعلته؟.. بل السؤال الأهم ما الذي سوف تفعله؟

سوف يلقون القبض عليها، وينفذون بها حكم الإعدام.. سوف تهرب.. وعائلتها؟ ما الذي سوف تقوله لهم عندما تنتفخ بطنها وتظهر عليها علامات سوءتها؟!

احتشدت وتزاحمت الأفكار فى رأسها..

التفتت يمينًا ويسارًا باحثة عن لا شيء.. عندها وقعت عيناها على النافذة.. هذا هو الحل الأمثل سوف تنهى حياتها بيديها.. التي انتهت منذ قررت أن تحبه.. بل منذ أن ضعفت، وأسلمت نفسها إليه، وذهبت معه إلى شقته..

فهي إن عاشت سوف تموت مائة مرة.. أما الآن فسوف تموت مرة واحدة..

(بيدي لا بيد عمرو) .... هكذا كان قرارها، وهكذا ركضت ناحية النافذة، وصعدت بخفـة، ثم.. ثم وثبت إلى أسفل لتصبح بعدها جثة هامدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شـوكـت

بلا أي أمل أخذ يرمق الطريق عبر نافذة (الميكروباص).. وهو يمر من أمامه فى سرعة صنعها السـائق.. ثم يحرك رأسه فى أسى ويطلق بعض السباب البذيء فى سره، ويعـود مرة أخرى ليرمق الطريق من النافذة..

بيوت.. محلات.. ثم بيوت ... يمر ذلك من أمامه صانعًا شاشة عرض خاصة به.. يتذكر حالة الذي صار إليه فى سرعة قياسية، يتذكر كيف تخلت شركته عنه بلا أية مقدمات، يتذكر ابنتيه اللتين لم يتعدَّ عمر الواحدة منهن الخمس سنوات، وكيف سيصرف عليهن، بل والأهم كيف سيدفع الأجرة الخاصة بشقته؟!

يتنهد فى استسلام ثم يعود للمرة المائة ليرمق الطريق..

يتذكر حواره مع صديقه (مسعد) ...

- لقد أخبرتك مرارًا، وسأعيدها مرة أخرى.. هذا هو الحل الوحيد لدينا.

يصمت فيضيف هو رافضًا:

- لن أفعل هذا مهما حدث فهذا كفر بين.

- إذًا ستظل هكذا وسوف تموت من الجوع أنت وبناتك.

ينظر إليه ثم يضيف مفسرًا:

- لا أريد دماء يا (مسعد) فقط أريد الانتقام من تلك الشركة وصاحبها، لأنهم ألقوا بي فى الشارع بعد ذلك العمر الذي أفنيته فيها ولأجله.

- وفى النهاية ألقوا بك فى الشارع، ولا تجد ما تأكله.

- نعم لذا أريد الانتقام، لكنني لا أريد دمًا. أريد الأموال فقط كل ما لديه وبها من أموال آخذها أنا وأنت ونقتسمها سويًّا.

- إذًا لن نجد سواه.. صدقني الشيخ نعمة الله هو من سيأتي لنا بالحل.

- لكن يا مسعد..

- كفر.. وما تريد فعله أليس حرامًا.. وما فعلوه فيك وفى بناتك، أليس حرامًا؟ صدقني لن نحضر عفريتًا أو نفعل عملاً فقط هى المشورة. صدقني وإن لم تقتنع لا تأخذ بحديثه.

- حسناً. متى؟

- غدًا نهارًا.. نأخذ المترو إلى حيث السيدة زينب، هو يقطن هناك.

- حسنًا، لكن.

- لا يوجد لكن هو يعرفني جيدًا فلن يأخذ منا مالاً. غدًا فى التاسعة سأمر عليك أنت وبناتك ...

قاطعه قائلاً:

- لا.. بناتي لا.. سوف أتركهم هنا مع جارتنا امرأة خلوق سوف ترعاهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يتنهد مرة أخرى ثم يتذكر ما حدث مع الشيخ نعمة الله .....

- وهكذا يا شيخ فنحن نريد الانتقام.

نظر الرجل إلى سقف الحجرة وكأنه يبحث عن شيء ما، ثم أخرج بعض حبات البخور من كيس بلاستيكي، ونثرها على الفحم المشتعل أمامه صانعًا دخانًا أبيض كثيفًا، كي يجعل الجو (عفاريتي) أكثر..

ثم أخذ يتمتم بكلمات غير مسموعة، وأخرج من مكان ما ورقة صفراء مطوية، ناولها إلى (شوكت)، الذي نظر إليه غير فاهم، ثم تناولها منه بحذر، وبتردد قال: - ما هذه يا شيخ .... «نظر إلى (مسعد)»، الذي همس: - نعمة الله..

- ما هذه يا شيخ نعمة الله؟

أعادها عليه، فأجابه الرجل بتؤدة:

- الحل..

- حل ماذا؟

- حل مشكلتك!

نظر (مسعد) إليه، وتناول الورقة من (شوكت) وبدأ يفتحها وأخذ يقرأ ما حوته: - أربعة شارع الشيخ مرزوق.. مصر القديمة..

انتهى من القراءة، وأضاف سائلاً:

- أي حل ولامؤاخذة؟.. هذا عنوان!!

تنهد الرجل بنفاد صبر وأضاف:

- الحل ستجده فى برميل قديم فى ذلك العنوان!

نظر (شوكت) إلى (مسعد) فى نظرة ذات معنى، فنهض الاثنان بلا كلمة واحدة ثم انصرفوا..

- ماذا ستفعل؟

قالها (مسعد) وهو يضيف:

- فى رأيي أن نذهب إلى ذلك العنوان ولن نخسر شيئًا..

مط (شوكت) شفتيه إلى أسفل، ثم أماء له برأسه معربًا عن موافقته..

وبالفعل ذهب الاثنان إلى ذلك العنوان.. حتى وجداه..

كان أقرب إلى خرائب!!.. توغلا داخلها بحثًا عن البرميل حتى وجداه.. فلم يكن هنالك غيره.. كان صدئًا للغاية، بدون غطاء، نظرا بداخله، فلم يجدا سوى ورقة من الحجم الكبير، تشبه ورق الجرائد.. مطوية فمد (مسعد) يديه داخله والتقطها..

ثم نظر إلى (شوكت) وأضاف:

- بكل تأكيد هنا

نظر إليه قائلاً:

- لا أعلم فقط افتح الورقة واقرأها.

أمسك (مسعد) الورقة بكلتا يديه، وفتحها عن آخرها بعد أن وضعها على الأرض، وبدأ الاثنان فى فحصها..

- أعتقد أن هذه مداخل ومخارج الشركة التي كنت أعمل بها.

أجابه (مسعد) وهو يقلب الورقة:

- انتظر هنالك تفسير لتلك الخريطة فى الظهر انظر..

- حقًّا؟

- ها هو.. ممم ... إنه يقول إن هذه الخريطة.. مم.. كما قلت بها مداخل ومخارج الشركة.

يقرأ باقي الورقة، وينظر إليه ثم يضيف منبهرًا بما فيها: - إنه يشرح بها كيف ننتقم دون نقطة دماء، وكيف نحصل على الأموال كلها دون أن يشك فينا أحد.. هذا عمل شيطاني بالفعل.

يصمت ثم يضيف:

- لكنه اشترط شرطًا واحدًا.

- ما هو؟

- نسير على تلك الخطوات التي خطها بحذافيرها.. وإلا.

- وإلا ماذا؟

- سنكون نقضنا العهد!!

- أي عهد؟

- لا أعلم لكنه مكتوب هنا وهذه هى الخطوات مكتوبة بالأسفل بخط صغير..

قال (مسعد) هذه الأخيرة وهو، يناول الورقة إلى (شوكت) كي يرى ما بها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خاتمة مؤقتة

لم ولن تنتهي قصتنا عند ذلك الحد، فهنالك ما سنحكيه يومًا من الأيام.
لكن لن أعدكم بأن ذلك فى العدد القادم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

مقدمة..

تحذير هام..

تمهيد..

البداية..

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27

28
29
30
31
32
33
34
35
36
صابر السمنودي
رأفت
سارة نبيل الخولي
شوكت
خاتمة مؤقتة

Notes

[←1]

(1) التجسد الأكتوبلازمى هو نوع من أنواع التجسد، الذي تظهر فيه الأجساد كأنها على قيد الحياة، بكامل هيئتها، لكنها شفافة، فلا تستطيع الإمساك بها أو تحسسها.